ظاهرة تكرار القصص
فى القرآن الكريم

تأليف

الدكتوره / حصة أحمد عبدالله الغزال
أستاذ مشارك بقسم أصول الدين كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية جامعة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد للهرب العالمين والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين وبعد فإن من المعلوم أن القصص بشغل جانباً كبيرا من القرآن الكريم ، ولم يكن الهدف منه التسلية وقضاء الوقت والتلهي شأن القصص البشري ، ولم يكن من نسج الخيار وبناء التصورات غير الواقعة ، كشأن القصص الآخر . ومن هنا كان أحسن القصص وأصدقه ، مصداقاً لقول الله تعالي : ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ (١)

وقصص القرآن معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ وشاهد صدق علي أن القرآن من عند الله وأن محمداً ﷺ يوحي إليه ، فمحمد يعيش منذ صغره بين أهله وقومه ، لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يجلس إلى حبر أو راهب ، يعرفون نشأته ، ويطلعون علي أحواله ، فمن أين له أخبار السابقين ؟ لقد وقفوا أمام ما جاء به مبهورين عاجزين عن أن يأتوا بسورة من مثله إحكاماً وبلاغة ، فضلا عما جاء به من قصص تضرب في أعماق التاريخ منذ آدم ونوح عليهما السلام ، تخبطوا وكيف يبرون تكذيبه ورد وحيه ، قالوا : شاعر نتربص به ريب المنون ، ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا : ليس من الشعر ولا من أوزانه في شيء . قالوا : كاهن ، ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا : ومن علمه الكهانة ؟ قالوا :﴿ **إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾(٢) ،ونزل الوحي يدفع ادعاءهم ، ويرد كيدهم، فقال : ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(٣).

---

(١) سورة يوسف ،رقمها ١٢: الآية٣ .

(٢) سورة النحل ، رقمها ١٦: الآية ١٠٣ .

(٣) سورة الحاقة ، رقمها ٦٩ : الآيات ٣٨ -٤٣.

إن قصص القرآن يضرب في أعماق التاريخ وجذوره بتفصيل عجيب لم يسبق إلى علم بشر ، فهو يزيد كثيراً – كما سنشاهد – عما في التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ، فمن أين لمحمد ﷺ هذا العلم ؟ وبهذا التفصيل ؟

لقد ووجهوا وجوبهوا بهذا ، فلم يحاولوا جواباً ، لقد قال الله تعالي عن قصة نوح وسفينته ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١) . وقال عن مؤامرة إخوة يوسف وكيدهم له : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (٢)

وقال عن قصة موسي وشعيب عليهما السلام ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا(٣) فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ (٤) وقال عن مناجاة موسي لربه علي جبل الطور ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٥) ﴿، وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ (٦) أي بينك وبين هذا الحدث قروناً وأجيالاً طويلة ، فمن أين علمها ؟

ويقول عن قصة مريم وكفالة زكريا لها﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ، وما كنت مع الملائكة﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾(٧) .

---

(١) سورة هود ، رقمها ٢٨ : الآية ٤٥.

(٢) سورة يوسف ، رقمها ١٢ : الآية ١٠٢ .

(٣) مقيماً

- الكشاف / للزمخشري /٣/١٨٢.
- صفوة التفاسير / للصابوني / ٢/ ٤٣٧ .

(٤) سورة القصص ، رقما ٢٨ : الآية ٤٥ .

(٥) سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الآية ٤٦ .

(٦) سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الآيتان ٤٤، ٤٥.

(٧) سورة آل عمران ، رقمها ٣ ، الآيتان ٤٤،٤٥.

وقد نهج القرآن الكريم في القصص منهجه في غير القصص من التفريق والتنجيم ، وكما نزل القرآن سورة كاملة نزلة واحدة ، ونزل بالسورة علي دفعات ، نزل بالقصة نزلة واحدة كاملة ، ونزل بالقصة علي دفعات وفترات ، كل دفعة تحكي حدثاً من أحداثها ،وكما جاء بالآيات مكررة أحياناً جاء ببعض أحداث القصة شبه مكررة كذلك .

وللتكرير في اللغة العربية حكم وفوائد ، أهمها : تأكيد الخبر ، وترسيخه وتثبيته في نفس السامع حتى يستقر أفضل استقرار ، ويتمكن أفضل تمكن ، ويبعد عن السهو والنسيان . ثانيها : محاربة الشك عند السامع عند إنكاره الخبر ، أو عند تنزيله منزلة المنكر ، ويحسن ذلك في الأخبار الغريبة التي لا يصدقها السامع عادة لأول وهلة ، والأخبار التي يحرص المخبر علي اهتمام السامع بها اهتماماً فوق اهتمام .

وكثيراً ما يتوهم القارئ للقصة نوعاً من التكرار في أحداثها ، وهو ليس في الحقيقة تكراراً . من هنا صح عندي العزم أن أبحث ظاهرة تكرار القصة في القرآن الكريم ، وسأجمع الآيات المتعددة الخاصة بالحدث الواحد في مكان واحد لتسهل المقارنة ، ويسهل التوجيه والتفسير والتنسيق ، ثم أحقق التكرار أو عدم التكرار .

خطة الدراسة :

تتناول الدراسة النقاط الآتية

المقدمة

- مفهوم الظاهرة
- مفهوم القصص لغة
- مفهوم القصص القرآني
- خصائص القصص القرآني
- مقاصد وأغراض القصص القرآني
- هل يوجد تكرار حقيقي للقصص القرآني
- أغراض التكرار الظاهري .
- أنواع القصص في القرآن .

أولاً : قصص قصيرة لم تتكرر أحداثها

ثانيا : قصص طويلة لم تتكرر أحداثها

ثالثا : قصص قصيرة تكررت أحداثها

رابعا: قصص طويلة تكررت أحداثها

الخاتمة.

والله من وراء القصد ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

الباحثة

مفهوم الظاهرة في اللغة :

ورد في المعجم الوسيط الظاهرة من الأرض وغيرها المشرفة ، ومن العين الجاحظة وظاهرة الرجل عشيرته .

والأمر ينجم بين الناس يقال بين ظاهرة الاهتمام بالصناعة (محدثة).

والظاهرة الجوية ما يؤثر في البصر والخيال من أفاعيل الطبيعة(محدثة) [١].

(وفي الاصطلاح موضوع ذو وجود خارجي حقيقي بصرف النظر عن صلته بالذهن ولكل علم ظواهره التي يدور بحثه حولها) [٢].

وقد سرت في عنوان بحثي علي طريقة مالك بن نبي في كتابه (الظاهرة القرآنية) وغيره من المؤلفين .

مفهوم القصص لغة :

القصص في اللغة : مصدر كالقص ، أو هو اسم مصدر منه يقال قص فلان الشيء من باب قتل إذا تتبع أثره،وفي التنزيل المجيد ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [٣].

ويقال خرج فلان قصاً وقصصاً في إثر فلان ،وفي التنزيل المجيد ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [٤].

ويقال قص فلان الخبر قصاً وقصصاً ، كذلك إذا حدث علي وجهه ، أي كأنه تتبع أثره فلم وجهه يهمل منه شيئاً .

و"(القصة) بالكسر الشأن والأمر يقال : ما قصتُك ، أي : ما شأنك ". والجملة من الكلام مقولة أو مكتوبة والحديث والخبر فعله بمعني مفعوله كأنها اسم هيئة في الأصل من القص أو القصص بمعني تتبع الأثر، ثم شاع استعمال القصة محدثاً في الحكاية النثرية غالباً والشعرية قليلاً المستمدة من الخيال أو الواقع ، أو منهما معاً والمبنية علي قواعد معينة من الفن الكتابي فالمحور الذي تدور عليه هذه المادة (مص)الشيع والاقتصاد أوالنقل للخير والشأن الذي مضي مع مراعاة الدقة في النقل [٥].

---

(١) المعجم الوسيط /جـ٢ ، ص ٥٧٨ / ط٢.

(٢) المعجم الوجيز / مجمع اللغة العربية ، ص ٤٠٢ / ط ١.

(٣) سورة الكهف ، رقمها ١٨ : الآية ٦٤.

(٤) سورة الكهف ، رقمها ١٨ : الآية ٦٤ .

(٥) – انظر تاج العروس / للزبيدي /٤٢١/٤ (مادة قص).

وهذه المعني ملحوظ في القصة التي هي الجملة من الكلام المقصوص ، والقصة تكتسب هذا الاسم من معني فعل القاص حين يمارس عمله في قص الخبر فهو يأتي بالقصة علي وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها ، ويقتفي آثار أحداثها في ترتيب بعضها علي بعض ، وكأنما القاص في ذلك يحاكي قصاص الأثر ، وهو يتتبع آثار الأقدام علي الأرض ، وفي متعرجات الدروب حتى يعرف مصير تلك الأقدام ،ويصل إلى نقطة النهاية بالنسبة لها وهي صلة موفقة تعطينا دلالة أعمق عن مدي صدق انطباق هذا التفسير للمعني اللغوي للفظ "قصة " علي المعني الفني بشكل عام [١] .

مفهوم القصص القرآني :

قصص القرآن : إخباره – بكلام حسن في لفظه ومعناه – عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة بما يتضمن الهداية إلى الدين الحق ويرشد إلى الخير .

وقد اشتمل القرآن علي كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم ، وذكر البلاد والديار ، وتتبع أثار كل قوم وحكي عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه [٢] .

أما مفهوم ظاهرة تكرار القصص في القرآن الكريم فيعرفه الأستاذ الدكتور عبد المنعم سيد حسن بقوله : " تمثل ظاهرة التكرار في القرآن الكريم بوضوح وجلاء في تكرار ما اشتملت عليه آية وسورة من قصص " . [٣]

- ولسان العرب / لابن منظور /٧/٧٤ .
- والمصباح المنير / للفيومي /١/٥٠٥ .
- والمعجم الوسيط / جـ ٢/٧٤٦
- ومختار الصحاح / للرازي / ٥٣٧ ، ٥٣٨ .
- وتهذيب اللغة للأزهري /٨ ، ٢٥٦ .

(١) أنظر القصص في الحديث النبوي : دراسة فنية موضوعية / د. محمد بن الزير / صـ ٤٨ /ط٣

(٢) مباحث في علوم القرآني / مناع القطان / صـ ٣٠٦ .

(٣) التكرار في القرآني الكريم /صـ ٥ .

ويقول الأستاذ الدكتور إبراهيم الخولي : " مفهوم التكرار كما صورناه : إعادة العبارة بنصها في سياق واحد لغرض تقتضي إعادتها في مقام يلائم هذا الغرض ". [١]

خصائص القصص القرآني :

القصة القرآنية " ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه " كما هي الحال في القصة الحرة ، بمعني أنها – أي القصة القرآنية – لاترمي إلى أداء غرض فني مجرد ، بل تهدف إلى غرض ديني ثقافي مؤسس للسنن ويقوم علي قاعدة العظة والاعتبار ، الأمر الذي التزمت معه القصص القرآني بحوادث وقعت، وأخبار حصلت ، فإن الذي يتأكد لنا ، من خلال جميع ذلك :

(١) الخصائص الفنية للقصة القرآنية لإيضاح أنها تصلح لخطاب العامة والخاصة ، وأن المحصول فيها – كسائر الأبواب القرآنية الأخرى – مسهب باق .

(٢) بيان القيمة التاريخية للقصة القرآنية ، أو إقامة الدليل السريع علي أن القصص القرآني أخبار سلفت ، وحوادث وقعت ، وأن الخيال أو الافتراض ، لا وجود له في وقائعها ، ولا في أشخاصها ، أو أبطالها .

وأذكر هنا نقطتين ، اثنتين :

الأولي : أن القرآن الكريم ورد فيه التعبير عن " القصص " في مجال " الأخبار " الواردة عن الأمم السابقة .

ولهذا وصف الله تعالي قصص القرآن بأنها حق، قال تعالي : **﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾** [٢].

وقال تعالي : **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾** [٣]

وقال عز من قائل : **﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾** .[٤]

---

(١) التكرار بلاغة / ص ٢٤.

(٢) سورة آل عمران ، رقمها ٣ : الآية ٦٤ .

(٣) سورة الكهف ، رقمها ١٨ : الآية ١٣ .

(٤) سورة القصص ، ورقمها ٢٨ : الآية ٣ .

الثانية : هي التي أشير إليها بقوله تعالي في هذا الكتاب الكريم﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١).

ومعني الآية الكريمة أن القرآن مبرأ من أن يلحقه خطأ وخلل وباطل من جهة ما أشار إلى وقوعه قبل عصر نزول القرآن ، ومن جهة ما دل علي وقوعه بعد ذلك العصر . أو يقال في معني الآية : إن الناس أجمعين وفي كل العصور لن يقفوا علي أي أمر تاريخي أو حاضر أو مستقبل يخالف ما حدّث به القرآن ودل عليه أو بشّربه.

فإذا أخبر القرآن أن (قصصه) (حق) فهي حق واقع ، وليست بتمثيل ولا خيال ذاهب (٢).

مقاصد وأغراض القصص القرآني :

أولاً : إثبات صدق سيدنا محمد ﷺ وصدق رسالته وصدق الوحي وهذا الغرض هو أسمي الأغراض في القصص القرآني :

فصدق النبي ، وصدق الرسالة والوحي أساس تتوقف عليه كل الأغراض الدينية ، والأحكام الشرعية ، إذ لا يتوصل إلى شيء منها ولا يمكن قبوله إلا بعد الإيمان بالوحي والرسالة وصدق من جاء بهما .

وأشار القرآن الكريم إلى أنه ﷺ كان أمياً فقال عز وجل :﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (٣).

وبين أنه لم يقرأ من كتب السابقين ولا من أخبار المعاصرين ، لأنه لم يكن كاتباً ولا قارئاً ، فقال عز وجل﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٤).

---

(١) سورة فصلت ، رقمها ٤١: الآية ٤٢.

(٢) فصول في علومك القرآن / للدكتور عدنان محمد زرزور / ١٨٧ -١٩٣ / بتصرف.

(٣) سورة الأعراف ،رقمها ٧: الآية ١٥٧ .

(٤) سورة العنكبوت ، رقمها ٢٩ : الآية ٤٨

وقد اقتضت حكمة الله تعالي أن لا يكون قارئاً ولا كاتباً ، إذ لوكان ممن يقدر علي التلاوة والخط لقالوا : لعله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة أو من الكتب المدونة في أخبار الأمم ، فلما كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، لم يكن هناك موضع للريبة ، ولا محل للشك أبداً ، بل إنكار من أنكر وكفر من كفر مجرد عناد وجحود بلا شبهة (١).

وقد دلل الشيخ محمد متولي الشعراوي علي صدق القصص وبين أن الإعجاز جاء في تصحيح ما حدث من تحريف الكتب السماوية التي سبقت القرآن ، وكان محمد ﷺ يتحدى بالقرآن أخبار اليهود ورهبان النصاري ، ويقول لهم هذا من عند الله في التوراة والإنجيل ، وهذا حرفتموه في التوراة والإنجيل ،ولم يكونوا يستطيعون إن يواجهوا هذا التحدي أو يردوا عليه . ذلك أن التحدي للقرآن في تمزيق حجاب الزمن الماضي . وصل إلى أدق أسرار الرسالات السماوية الماضية ، فصححها لهم، وبين ما حرفوه منها وما أخفوه ، وتحداهم أن يكذبوا ما جاء في القرآن فلم يستطيعوا ، ومن ذلك قوله تعالي في سورة مريم ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾(٢).

ثانيا : تثبيت قلب الرسول ﷺ في مجال الدعوة وتثبيت قلوب من يدعوهم إلى الإيمان.وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده وخذلان الباطل وأعوانه :

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالي﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣)

ومن تسليه الله لرسوله ﷺ أن يقول له بعد سرد قصص الانبياء ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (٤).

---

(١) انظر فتح القدير / للشوكاني /٤/ ٢٠٧ / بتصرف .

(٢) سورة مريم ، رقمها ١٩ : الآية ٣٤ .

- انظر : معجزة القرآن / للشيخ محمد متولي الشعراوي / الفصل السابع / القرآن مزق حواجز الغيب/ (١٠٢/١ -١٠٣).

(٣) سورة هود ، رقمها ١١ : الآية ١٢٠

(٤) سورة الأنعام ، رقمها ٦: الآية ٩٠

يقول القرطبي :" الاقتداء : طلب موافقة الغير في فعله والمعني : أصبر كما صبروا"(١)

ثالثاً : الدعوة إلى التذكر والاعتبار :

يقصد القرآن من عرض قصصه التوسل إلى عبرة أخلاقية أو مغزى سام أو عظة أدبية مثلي (٢).

وهذا الهدف يغطي جميع القصص القرآني ، ففي كل قصة علي حدتها نوع خاص من العبرة يتناسب مع خصوص المعاني التي سيقت في خصوص هذه القصة ، فلقصة آدم – عليه السلام – عبرها وأسرارها ، ولقصة نوح عبرها وأسرارها .. وهكذا دواليك ما من قصة بل من آية في قصة بل ما من فقرة في آية إلا وفيها مجال كبير تتباري فيه العقول والأفهام لاستخلاص العبر والعظات (٣).

ونبه القرآن علي هذا بقوله تعالي :﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (٤).

ويقول تعالي : ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (٥).

والقصص القرآني يبين حال الظالمين ونهايتهم ، فينهي قصة الظالم بعد عتوه وفرحه بالندم والحسرة حتى يوقظ المعجبين بحال الظالمين ، ففي ختام قصة قارون يقول تعالي : ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ* وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا**

(١) تفسير القرطبي /٧ /٣٥ / طبعة دار الكتب /٢٠٠٠ م

(٢) تاريخ العرب / للدكتور فيليب حتى – مترجم – ١٧٢/١ /طبعة ثانية

(٣) النهج القويم في دراسة علوم القرآن / أ.د عبد الغني الراجحي /١٩.

(٤) سورة يوسف ، رقمها ١٢ : الآية ١١١

(٥) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ١٧٦

يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾(١).

وفي ختام قصة أصحاب الجنتين في سورة الكهف يقول عن الظالم الباغي الكافر :﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا** ﴾(٢).

رابعاً : بيان أن الدين السماوي الذي بعث به الأنبياء جميعاً دين واحد موحد الأساس:

يهدف القصص القرآني إلى إثبات أن دين الله – تعالي – دين واحد وأن رسالات الرسل من لدن آدم – عليه السلام – إلى سيدنا محمد ﷺ واحدة تدعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

ويترتب علي وحدة الدين وحدة المؤمنين وأنهم أمة واحدة ربهم واحد وكثيراً ما وردا قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في صورة واحدة معروضة بطريقة خاصة لتؤيد هذه الحقيقة ، ولما كان هذا غرضاً أساسياً في الدعوة وفي بناء التصور الإسلامي ، فقد تكرر مجيء هذه القصص علي هذه النحو مع اختلاف في التعبير لتثبيت هذه الحقيقة وتوكيدها في النفوس(٣)

من هذه القصص التي أكدت الحقيقة ما ساقه القرآن وبين فيه أن كل أمة أرسل إليها رسولها بين لها أن الله واحد لا شريك له ، ففي قصة نبي الله هود – عليه السلام – مع قومه يقول تعالي :﴿ **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**﴾ (٤). وفي قصة سيدنا صالح يقول عز وجل :﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن**

(١) سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الآيتان ٨١ ،٨٢ .

(٢) سورة الكهف ، رقمها ١٨ : الآيتان ٤٢ ،٤٣ .

(٣) التصوير الفني في القرآن / للأستاذ سيد قطب /٢١ .

(٤) سورة الأعراف ، رقمها ٧: الآية ٦٥ .

رَبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [١] .وفي قصة شعيب مع قومه يقول تعالي : ﴿ وَإِلَـى مَـدْيَنَ أَخَـاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْـدَ إِصْـلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢] .

وبعد ، فقد حققت القصة غرضها وبان منها أن طريق الشرائع واحـدة ، وأن أمم الأنبياء والمرسلين أمة واحدة ، وأن سبيل كتب السماء واحدة ، فـإن شـذ منهـا شيء دل علي تلاعب من استحفظوا عليها .

قال الإمام ابن تيمية : (كلما وجدنا في الكتاب المقدس ما يعارض مبدأ تنزيـه الله أو عصمة الأنبياء أيقنا بتحريفه ، كوصف الله – تعالي – بالجهل – ونسبة النـدم إليه وتشبيهه بالمخلوق في صفات النقص المختصة به التي يجب تنزيهه عنها كقـول من قال منهم : " إنه فقير أو أنه بخيل ، أو أنه تعب لما خلق السموات والأرض"[٣].

والتوحيد أساس العقيدة ، وهو قدر مشترك بين الأنبياء جميعاً .

خامساً : بث العقائد الصحيحة ونفي الخرافات والأفكار القديمة :

وأعني بهذا الجانب التربوي الذي يقوم به القصـص القرآنـي فـي العقائـد وتصويرها وحسن التصرف في عرضها) [٤].

فحينما سئلت السيدة عائشة – رضي الله عنها – عن خلق رسـول الله – ﷺ – قالت : (كان خلقه القرآن) [٥] .

---

(١) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٧٣ .

(٢) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٨٥ .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / للإمام ابن تيمية /٢/٤٩ .

(٤) بحوث في قصص القرآن / للسيد عبد الحفاظ عبد ربه /٨٩ .

(٥) حديث عائشة – رضي الله عنها – جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صـحيحة / كتـاب=

فكان الرسول أول من أثرت فيه القرآن الكريم فكان مثلاً أعلي في الأخـلاق القرآنية ، وأسوة حسنة في الاهتداء بهدي القرآن والعمل بتعاليمه وتوجيهاتـه ، قـال تعالي ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [١].

ففي القصص القرآني تربية دينية لها أثر عميق في النفس مصـدرها عقيـدة تضم الخالق والإنسان والكون وتقوم علي أساس أن كل خلق كريم هـو فـي ذلـك الشعور الباطني، وهو الإيمان بالله الذي جعل الكون معرضاً رائعا تتجلي فيه حقيقـة الألوهية بآثارها وتملأ جوانب الإنسانية بآياتها فللإيمان بالله شهادة بأن الإنسـان لـه عقل يميز به الخير من الشر ويفرق بين الحق والباطل فبهذا العقل عرف الله ومن ثم الأعمال الصالحة فسعي إليها .

وأما من لم يفتح له عقله طريقاً إلى الله فقد عمي عن الحقيقة الكبري ، وضل الطريق إليها فكيف يمكن أن يهتدي إلى حق بعد هذا ؟ وكيف يتعرف إلى خير بعد أن حاد عن الطريق الموصل إليه [٢]

هذا وإذا انحلت العقدة زالت العادة والسلوك(وقد أفاد التحليل النفسي للعادات الفاسـدة أنها تبطل وتزول بمجرد اقتلاع العقدة مثلما يـزول المفعـول الكهربـائي بانقطـاع التيار)[٣].

فالإيمان ليس في الحقيقة مجرد شعور عن علـم ومعرفـة ، ولكنـه تكييـف للإنسان في صلته بربه وتدبيره لنفسه وعلاقته بغيره ، فقـال : (إذا سـاءتك سـيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن) [٤].

=صلاة المسافرين وقصرها / باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض / ج١ رقم الحديث ١٣٩. صـ ٥١٢ / طبعة استانبول ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

– وأحمد في مسنده جـ٦ /صـ٥٤ ن٩١ ،١١٣ ،٢١٦،١٨٨ .

(١) سورة الأحزاب ، رقمها ٣٣ ، الآية ٢١ .

(٢) التعريف بالإسلام / للأستاذ عبد الكريم الخطيب / ٢٣٥ .

(٣) علم النفس والأخلاق / جـ. أ هادفيلد (ت) محمد عبد الجواد أبو العزم /٦٤ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده /٥/صـ٢٥٢ . =

والإيمان بالله كما تقول الأبحاث التربوية وقاية وعلاج من الأمراض النفسية والاضطرابات العصبية والانحرافات الخلقية التي تنشأ عن عوامل القلق والتوتر العصبي ومن أهم أسباب الأمراض العضوية الحالة العامة التي يسيطر عليها الجهاز العصبي والحالة النفسية . وقد أصبح الإيمان من وسائل الإيمان من وسائل الطب في كثير من الأمراض .

يقول وليم جيمس : " إن أهم علاج للقلق هو الإيمان " . (١)

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : " فعبادة الشمس قد صدت هذه الملكة عن حصول العلم النافع وباعتقادها صارت بعيدة عن التقدم الفكري وعن استكمال الحضارة الصحيحة ، لأن أعمال الناس تتكيف بحسب ما يصدر عن معتقداتهم من أفكار وسلوك "(٢).

وهكذا يتبين لنا أن القصص القرآني سبيل لكل خير وعلاج من كل شر .

وصدق الله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى

= - وقال المناوي في فيض القدير (٣٧٤/١) : حديث صحيح .

- واخرجه الحاكم في المستدرك / كتاب الإيمان / عن أبي أمامة ١٤/١ وقال صحيح علي شرط الشيخين . ووافقه الذهبي / بلفظ (إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك).

- وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير /٨/رق ٧٥٤٠صـ ١١٧ .

- وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني : إنما هو علي شريط مسلم وحدة .

- انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة / لمحمد ناصر الدين الألباني /٢/رقم ٥٥٠ /٩١ .

- والهيثمي في مجمع الزوائد /٨٦/١.

- وقال : رجال الطبراني رجال الصحيح إلا أن فيه يحيي بن أبي كثير وهو مدلس وإن كان من رجال الصحيح .

- وأخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح / كتاب الإيمان / الفصل الثالث / رقم ٤٥ /صـ٢٠.

- والهيثمي في / موارد الظمآن / كتاب العلم / باب ما جاء في البر والإثم / رقم ١٠٣ /صـ٥٦.

(١) بيم الدين والعلم / للأستاذ عبد الرزاق نوفل /٦٠ .

(٢) أصول النظام الاجتماعي والدولي في الإسلام / للعلامة محمد الطاهر بن عاشور /٩، ١٠ .

﴿ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١).

سادساً : بيان نعم الله علي أنبيائه وأصفيائه :

في القصص القرآني نري أسباغ الله نعمه علي أنبيائه وأصفيائه في صور كثيرة منها :

١- ففي قصة آدم – عليه السلام – نري أن المولي – سبحانه – قد أنعم علي أبي البشرية فلم يقنطه من رحمته ، وإنما تاب عليه واجتباه مع ما فرط منه من النسيان ومخالفة وصية ربه فقال تعالي :﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢)

٢- وقصص داود وسليمان- عليهما السلام – فيه نعم بارزة منحها الله تعالي لهذين النبيين العظيمين (٣) .

٣- ومن نعم الله تعالي علي أنبيائه وأصفيائه أنه قص علي الناس قصصهم أحياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم في إيقائه ذكره مثبتاً له تعجيل جزائه في الدنيا حتى يبقي لذكره وآثاره الحسنة إلى قيام الساعة ، كما رغب خليل الرحمن إبراهيم في إبقاء الثناء الحسن فقال : ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٤)

وللناس أحاديث يقال : (ما مات ميت والذكر يحييه) (٥) .

٤- ومن نعم الله وآلائه التي أسبغها علي سيدنا محمد ﷺ وأمته ما ساقه المولي مما يدل علي شرفه ﷺ وشرف أمته وعلو أقدارهم ، وذلك أنه لما نظر إلى أخبار الأمم قبله ، علم أنه عوفي هو وأمته من كثير مما أمتحن الله به الأنبياء

---

(١) سورة يوسف ، رقمها ١٢ : الآية ١١١ .

(٢) سورة البقرة ، رقمها ٢،الآية ٣٧ .

(٣) أنظر الآيتان من سورة الأنبياء من ٧٨ – ٧٩ . وسورة النمل الآيات من ١٥-٤٤ وسورة سبأ الآيات من ١٠ -١٤ وسورة (ص) الآيات من ١٨ -٢٠ ،٢٥، ٢٦ ،٣٠ -٤٠

(٤) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآية ٨٤ .

(٥) انظر قصص الأنبياء المسمي عرائس المجالس / للثعلبي /٣..

والأولياء، وخفف عنهم في الشرائع ، ورفع عنهم الأثقال والأغلال التي كانت علي الأمم الماضية ، قال تعالي :﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[١]

إن النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الذرائع[٢] .قال تعالي :﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [٣].

فلما قص الله هذه القصص علي نبيه رأي فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحداً من الأنبياء والأمم ،فوصل قيام ليله نهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره (حتى تورمت قدماه ، فقيل: يا رسول الله : غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً) [٤].

وقال عليه الصلاة والسلام : "أحب الدين إلى الله الحنيفية[٥] السمحة[٦] "[٧] .

سابعاً : المعاملة الطيبة ودعوى الإصلاح :

اشتمل القصص القرآني علي دعوة الأنبياء والمرسلين أممهم إلى الخير وحسن التعامل وإصلاح الأرض .

---

(١) سورة لقمان ، رقمها ٣١ : الآية ٢٠ .

(٢) الأساس في التفسير / لسعيد حوي /٤٣٣٤/٨

(٣) سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآية ١٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٤٤/٦ بشرح فتح الباري – كتاب التفسير تفسير – سورة الفتح واللفظ له /٥٨٤/٨.

-وأخرجه مسلم في صحيحه / كتاب المنافقين / باب إكثار الأعمال /٢١٧١/٤ / رقم ٧٩ .

(٥) الحنفية : ملة إبراهيم ، وسمي حنيفياً لميله عن الباطل إلى الحق ، لأن أصل الحنف : الميل .

(٦) السمحة ك السهلة أي أنها مبنية علي السهولة .

- انظر فتح الباري /١١٦/١ -١١٧ /ط٣ .

- وشرح الكرماني بهامش صحيح البخاري /١٦٠/١ /ط١.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الإيمان / باب الدين يسر ١٥/١.

- وأخرجه الإمام في مسنده /٢٦٦/٥، ٦/ ١١٦

يقول تعالي في قصة شعيب عليه السلام ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ *وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ {٨٦} وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾[١].

وفي موضوع آخر من قصة شعيب نجده يكرر الدعوة ثم يبين سبحانه كيف تقاوم دعوة الحق بالإصرار علي الشر ، وكيف كان الإصرار عليه إلى أن قال تعالي : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ *وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [٢].

والله تعالي يأخذ علي بني إسرائيل أنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، فقد قال :﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [٣]

والدعوة إلى المعاملة الطيبة والإصلاح في الأرض تنشر في ثنايا القصص القرآني كله لا في قصة شعيب وبني إسرائيل فحسب .

---

(١) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآيات ٨٥ – ٨٧ .

(٢) سورة هود ، رقمها ١١ : الآيات ٨٤ –٨٨.

(٣) سورة البقرة ، رقمها ٢ ، الآية ٤٤ .

ثامناً : تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان وإبراز العداوة الخالدة بينه وبين أبيهم آدم :

عند ما تتصفح كتاب الله وتتدبر معانيه وتتابع قصصه تجد قصص القرآن يحذر ابن آدم من غواية الشيطان ، فتارة بالتصريح وتارة بالتلميح ، والآيات حافلة بذلك التحذير العظيم والتوجيه المستقيم لابن آدم وتبين العداوة المتأصلة بين بني آدم وبين الشيطان منذ طور الإنسان الأول ومنذ خلقه ، فإيراد هذا التحذير عن طريق القصة أروع وأبلغ من أي سياق آخر .

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[1]وقال

﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[2]

تاسعاً : بيان يقص الأحكام بالقصص القرآني :

بان لنا في بعض القصص القرآني بعض الأحكام الشرعية . وأن سوقها في القصص يثبت هذه الأحكام ويدعمها .

وأذكر من ذلك قصة ابني آدم فقد قال الله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ *لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [3]

---

(١) سورة ص ، رقمها ٣٨ : الآيتان ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) سورة الإسراء ،رقمها ١٧ ،الآية ٦٢ .

(٣) المائدة الايات ٢٧ -٣٢

هذه القصة تثبت أن الغيرة والحسد يؤديان إلى الاعتداء ، وأن ذلك يحدث بين أقرب الناس بعضهم لبعض ، وأنه لا علاج للحسد بإخراجه من النفوس فهو فيها دفين، نعم إنه مرض ، ولكنه مرض لا يمكن أن يكون منه شفاء والناس ليسوا سواء فمنهم شقي وسعيد[1]

عاشراً : علاج أمراض المجتمع ، الدينية والاجتماعية ، فقصة يوسف عليه السلام مثلاً عالجت ثلاثة أمراض فتاكة :

الأول : ضعف العفة وضعت الحصانة الجنسية ، والاستهانة بالزنا ، وحديث عائشة رضي الله عنها يصور لنا هذا المرض عند العرب آنذاك ، إذ تقول :"النكاح في الجاهلية كان علي أربعة أنحاء ، فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته[2]، فيصدقها ، ثم ينكحها ، ونكاح آخر ، كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها ،أرسلي إلى فلان ، فاستبضعي منه [3] ويعتزلها زوجها ، ولا يمسها أبداً ، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة ، فيدخلون علي المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليالي بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ،تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو ابنك يا فلان ،تسمي من أحبت باسمه ، فيلحق به ولدها ،لا يستطيع أن يمتنع به الرجل ، ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون علي المرأة،لا تمنع من جاءها ، وهن البغايا ، كن ينصبن علي أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن

---

(١) انظر القصة في القرآن د/ محمد عبد الحافظ إبراهيم ص ٧٧

(٢) (وليته أو ابنته) : هو للتنويع لا للشك . فتح الباري / ٩/٩٠ .

(٣) (فاستبضعي منه) : أي اطلبي منه المباضعة وهو الجماع ، لتحملي منه ، والمباضعة المجامعة مشتقة من البضع وهو الفرج . فتح الباري .

أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ، ودعوا لهم القافة[١] ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطته[٢] به ، ودعي ابنه ، لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم " [٣]

المرض الثاني : مرض الكيد والمكر والإيقاع بالبرءاء ، والإغارة على الآمنين ، والتقاتل والتناحر لأتفه الأسباب ، وهذا المرض العربي يشخصه الشاعر حين يقول :

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا[٤]

المرض الثالث : مرض الاعتماد على الأصنام وعبادتها ، ويشخصه يوسف عليه السلام حين يقول :﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) (القافة) : هو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية .
- فتح الباري /٩/٩١.

(٢) (فالتطاته به) أي استلحقته به . وأصل اللوط بفتح اللام اللصوق .
- انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري / لابن حجر العسقلاني / ج ٩ /ص ٩٢
- التعليق المغني على الدارقطني / لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي بهامش سنن الدار قطني / ج٣/٢١٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب النكاح / باب من قال : لا نكاح إلا بولي / ٧/١٩-٢٠ . وأخرجه الدارقطني في سننه / ج٣ / رقم (١) ص ٢١٢

(٤) البيت لقطامي التغلبي توفي سنة ١٣٠ هـ يوافق ٧٤٢ م واسمه عمير بن شييم عمر بن عباد شاعر غزل كان نصرانياً من تغلب في العراق ثم أسلم . وقد استقيت هذه المعلومات من :
- الموسوعة الشعرية الصادرة عن المجمع الثقافي في أبوظبي سنة ٢٠٠٣ م .

(٥) سورة يوسف ، رقمها ١٢ : الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

هل يوجد تكرار حقيقي للقصص القرآني ؟

بعد عرضي لهذا الكم الكبير من التكرار في قصص القرآن يظهر لنا ان التكرار في القرآن الكريم أمر واقع لا شك فيه وله أغراضه السامية ، وهو حق لا ريب فيه أيضاً، سواء ظهرت لنا الحكمة من وراء هذا التكرار ام لم تظهر ، هذا على سبيل الإجمال. أما على وجه التفصيل فنقول : إن التكرار في القرآن يقع على وجوه ، فهناك التكرار في القصة الواحدة ، كقصة آدم عليه السلام ، وهناك التكرار في الآية الواحدة كقوله تعالى :﴿ فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[١] . وهناك التكرار في اللفظ الواحد وهناك التكرار في الأوامر والنواهي ، ونحو ذلك .

والتكرار الواقع في القرآن الكريم ، يباين التكرار الكائن في كلام البشر ، لأن تكرار البشر لا يسلم عادة من القلق والاضطراب ، ويعد عيباً في الأسلوب ، يعاب عليه الكاتب .

والتكرار في كلام الله سبحانه ليس هو التكرار المعهود والمذموم في كلام البشر ، إذ هو تكرار محكم ، ذو وظيفة يؤديها في النص القرآني ، يعرف ذلك كل من تأمل طبيعة النص القرآني وخصائصه .

والتكرار في القرآن يؤدي وظيفتين اثنتين :

الأولي : **وظيفة دينية** ، غايتها تقرير وتأكيد الحكم الشرعي ، الذي جاء به النص القرآني .

الثانية : **وظيفة أدبية** ، تتمثل في تأكيد المعاني وإبرازها وبيانها بالصورة الأوفق والأنسب والأقوم .

أغراض التكرار الظاهر :

والجواب عليه من وجوه :

الأولي : إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين البلاغة ، وذلك لأن من خصائص البلاغة إبراز المعني الواحد في صور مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب متمايز عن الأخر

---

(١) سورة الرحمان ، رقمها ٥٥ : الآية ١٣

،وتصاغ في قالب غير القالب ولا يمل الإنسان من التكرار بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخري [١].

الثاني : هو توسيع مجال المعارضة والمحاكاة أمام العرب حتى يسلموا بعجزهم عن المعارضة ويعتقدوا أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله قبل التكرار وبعده . فقد أعيد القصص في مواضع مختلفة علي ترتيبات متفاوتة ونبهوا – أي العرب – بذلك علي عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ ومكرراً . [٢]

قال الزركشي : إن الله – تعالي – أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية لصحة نبوة محمد ﷺ ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا وبأي عبارة عبروا [٣].

الوجه الثالث : قيل : إن أبرز دواعي التكرار : الإضافات الجديدة التي تحملها القصة في كل عرض لتنويع الفائدة – كما أشار الزركشي – فنحن إذا استعرضنا القصص الذي تكرر طالعتنا هذه الإضافات في كل عرض ، ولقد أشار الإمام محمد عبده إلى هذا ،فقال: " ومن سنة القصص المكررة أن يذكر في كل منها ما لم يذكر في الأخري لتنويع الفوائد [٤] في كل عرض وقد ضرب – الباقلاني – مثالاً لذلك ، فقال : ألا تري أنه ذكر الحية [٥] في عصا موسي – عليه السلام – وذكرها في موضوع آخر ثعباناً [٦]، ففائدته أن ليس كل حية ثعباناً وهذه عادة البلغاء ، أن يكرر أحدهم في آخر

---

(١)انظر القصص القرآني في منطوقه ومفهومه / للأستاذ عبد الكريم الخطيب / ٢٤٠ .
– ومباحث في علوم القرآن / للأستاذ مناع القطان ٣٠٨

(٢)القصص القرآني في منطوقه ومفهومه / للأستاذ عبد الكريم الخطيب / ٢٤٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن / للزركشي /٢٧/٣

(٤) تفسير المنار ٤٩٦/٨ .

(٥) في قوله تعالي في سورة طه ٢٠ (فألقاها فإذا هي حية تسعي).

(٦) من قوله تعالي في سورة الأعراف ١٠٧ / فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين)
وقوله في سورة الشعراء ٣٢ (فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين) .

خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة " [١]

الوجه الرابع : الاهتمام بشان القصة لتمكين عبرها في النفس فإن الشيء إذا كرر يكون أبلغ وأوكد .

ثم إن بعض العقليات لا تعقل إلا بالإطناب والتطويل والإسهاب ، وبعضها يكفيه الإيجاز ، فجاء القصص القرآني بالحالتين مراعاة للمدعوين حتى تتمكن حقائق الدين في نفوس الناس جميعاً .

ومهما تكرر قصص القرآن ، فإن العرض والأسلوب والتصوير وارتداء القصة ثوباً يختلف عن ثوب القصة في سورة أخري فكان السامع لم يسمع القصة كلها من قبل .

ومثال ذلك قصة موسي – عليه السلام – مع فرعون ، فهي تمثل الصراع الدائم بين الحق والباطل أتم تمثيل ، و قد علمنا أن نتيجة القصة أن ختمت بدفع الباطل وظهور الحق .

الوجه الخامس : (اختلاف الغاية التي تساق من أجلها ، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام وتبرز معان أخري في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال) [٢].

الوجه السادس : قيل إن سبب التكرار تأكيد وتقوية ما فيها من عقائد وإيمان لبعض الحقائق الغيبية فتعاد القصة وتكرر لقصد إثبات مثل هذا في ذهن السامع أو جعله بحيث لا ينفك عنه ويصير بالنسبة إليه كالطبيعة الثابتة) [٣].

---

(١) البرهان / للزركشي ٢٦

(٢) مباحث في علوم القرآن /للأستاذ مناع القطان / ٣٠٨ .

(٣) مذكرات في علوم القرآن / للأستاذ الدكتور / محمود بسيوني فودة
– وانظر القص في القرآن الكريم / للدكتور محمد عبد الحافظ إبراهيم / من ص ٨٢ -٨٤ / الطبعة الأولي .

أنواع القصص في القرآن

أولاً : قصص قصيرة لم تتكرر احداثها

جاءت القصة في القرآن تحكي حدثا واحداً ، باختصار ، وترمي إلى هدف واحد دون تعدد أو تكرار ، كقصة الذي مر علي قرية وهي خاوية علي عروشها [١]، وقصة أصحاب الفيل﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ [٢]،ركزت هذه القصة علي منة الله تعالى علي قريش بأنه وحده الذي حماهم من جيش أبرهة ، فليعبدوا الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

ولم تتكرر هذه القصة رغم غرابتها ، لأن القوم لا ينكرونها إذ شاهدها عياناً بعض الأحياء المعاصرين ، بل صغار الأحياء المعاصرين ، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان بمكة[٣] ، وقد جرت أحداثها عام ولد ﷺ علي أشهر الأقوال[٤].

ثانياً : قصص طويلة لم تتكرر أحداثها

وجاءت القصة في القرآن تحكي حدثاً واحداً بإسهاب وتفصيل دون تكرار ، كقصة أصحاب الكهف ، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدي ، وأيدهم الله وربط علي قلوبهم ، فتمسكوا بعقيدتهم في مواجهة البطش والطغيان ، فاعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله ولما ضاق عليهم الخناق خرجوا من البلاد مهاجرين ، أدركهم المطر الشديد عند غار في جبل ، فآووا إليه، فناموا جميعاً ، وضرب الله علي آذانهم جميعاً ، فلا يسمعون ما حولهم ، ضرب علي أعينهم ، فلا يرون أنفسهم ، وكلبهم باسط ذراعية

---

(١) أقرأ الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

(٢) سورة الفيل ،رقمها ١٠٥ : الآيات ٥-١ .

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : كتاب الحج / باب في حرمة مكة والنهي عن استحلالها /٣/٢٨٥ /ط٣/ وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

(٤) تفسير القرطبي ٢٠/١٩٥ .

بالوصيد – بباب الكهف ، يجري عليه ما يجري عليهم . أمسك الله عنهم الزمان فلا يشعرون بمرور السنين والأيام ، لا يأكلون ،ولا يشربون ولا يتبرزون ولا يتبولون ، ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ، تري الشمس إذا طلعت تزورهم في كهفهم زيارة خفيفة ، وإذا غربت تسلم عليهم سلاماً لطيفاً ، فتحفظ أجسامهم من البلي والرطوبة ، تحسبهم أيقاظاً وهم رقود يقلبهم الله ذات اليمين وذات الشمال ، طالت أظفارهم ، وطالت شعورهم﴿ **لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا** ﴾ [١] تعود أرواحهم بعد هذه السنين إلى أجسادهم ، وتدب فيهم الحياة، فيستيقظون كأنهم كانوا نائمين ، وينظر بعضهم إلى بعض مشدوهين ، يقول أحداهم : كم لبثتم نائمين ؟ فيجيبه صاحبه : يوماً أو بعض يوم ، فيقول أوسطهم : الله اعلم بما لبثنا ، نحن جائعون ، ابعثوا أحدكم بنقودكم ، فليأتكم بطعام من سوق البلد ، وليتخف فلا يظهر ملامحه ولا يشعرون بكم أحداً ﴿ **إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾[٢]، وينزل احدكم إلى سوق المدينة ، فيري الطريق غير الطريق ، والمعالم غير المعالم ، والمدينة غير المدينة ، والناس غير الناس ، ينظر إليهم نظرة الغريب إلى الغريب ، وينظرون إليه نظرة المندهشين ، شعره طويل غير معهود،وأظافره طويلة كمخالب الطير ، جمع من محل التاجر خبزاً وفاكهة وأخرج نقوده وأعطاه إياها ،فنظر فيها وعجب ، إنها قديمة قد أبطلت . من أنت ؟ ومن أين جئت بهذه النقود ؟ لابد أنك حصلت علي كنز ، معنا إلى الحاكم ، وسيق به إلى أمير المدينة – الذي كان غير الأمير ، هذا مؤمن وذاك كان كافراً ، هذا صالح وذاك كان طاغياً هذا يتفاهم برفق وذاك كان قظا غليظا ، وفهم الموقف فاعترف بالقصة ، فلم يصدقوه حتي خرجوا معه إلى الكهف ليروا بأعينهم أخواته، ويكلموهم ، ويضرب كل منهم كفا علي كف ، عجباً ثلاثمائة سنة ثم يبعثون ؟ آمنا بالدار الآخرة والبعث ، وأن الله يبعث من في القبور . وقف الناس وأميرهم مشدوهين ، ونظر إليهم أهل

---

(١) سورة الكهف ، رقمها ١٨ : الآية ١٨ .

(٢) سورة الكهف ، رقمها ١٨ : الآية ٢٠ .

الكهف مبهوتين وما هي إلالحظات حتى ماتوا في كهفهم ، فبنوا عليهم مسجداً [١] .

لم تتكرر هذه القصة مع غرابتها ، لأنها في كتب أهل الكتاب ، والأحبار والرهبان هم الذين امتحنوا محمداً ﷺ عنها ، فطلبوا من قريش أن يسألوه عن ثلاثة : عن فتية أهل الكهف ، وعن ذي القرنين ، وعن الروح ، فأجابهم القرآن عن قصة أصحاب الكهف وعن ذي القرنين ، وحجب عنهم وعن البشر جميعاً أسرار الروح .

ثالثا : قصص قصيرة تكررت أحداثها .

وجاءت القصة تحكي أحداثاً ووقائع متعددة بإسهاب وإطناب من غير تكرار ، كقصة يوسف عليه السلام ، ولما كان موضوع بحثي ظاهرة التكرار في قصص القرآن لم أتعرض لهذه القصص بشيء من التفسير والدراسة والتمحيص ، لأحصر اهتمامي في قضية واحدة ، أعمق فيها البحث ، وأجدد فيها الدراسة ، وهي قضية ظاهرة التكرار في القصة أو في حدث من أحداثها ، وأري أن أضع هذه الظاهرة تحت ثلاثة فروع ، أو تحت ثلاثة أنواع :

النوع الأول : تناولت فيه القصة جانباً واحداً من حياة الرسول ، هو جانب جزيرة قومه ، ودعوته لهم ، ونقاشه وحواره إياهم ، وعاقبة أمرهم ، يمثل هذا النوع قصة عاد قوم هود ، نعرض آياتها لنري ما وصلت إليه هذه الظاهرة ، وهل التكرار فيها حقيقي ؟ أو ظاهري ؟

يقول القرآن الكريم : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ *قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ {٦٦} قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ *أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ

(١) انظر في ظلال القرآن / لسيد قطب /٤/٢٢٦١ -٢٢٦٤ / ط ٨ بتصرف .
- زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي /٥/١١٥-١٢٤ بتصرف .
- صفوة التفاسير / للصابوني /٢/١٨٥-١٨٧ بتصرف

آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ *فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[١]

ويقول : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ * قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ * وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾[٢].

ويقول : ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ *إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا

(١) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآيات من ٦٥ إلى ٧٢ .
(٢) سورة هود ، رقمها ١١ ، الآيات من ٥٠ إلى ٦٠ .

سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ *وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١)

ويقول :﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ *إِذْ جَاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ *فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٢)

ويقول:﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ *قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ فلما رأو العذاب في هيئة سحاب (٣)﴿عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٤)

---

(١) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآيات من ١٢٣ إلى ١٤٠ .

(٢) سورة فصلت ، رقمها ٤١ : الآيات من ١٣ إلى ١٦ .

(٣) انظر صفوة التفاسير / لمحمد علي الصابوني / ١٩٩/٣ .

– مختصر تفسير الخازن المسمي لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد البغدادي ١٤٠٤/٣ .

(٤) سورة الأحقاب ، رقمها ٤٦ : الآيات من إلى ٢٨ .

ويقول :﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ (١).

ويقول : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ *إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ *فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ (٢)

ويقول :﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾(٣)

ويقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦}} إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ {٧} الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ (٤) .

فجريمة عاد قوم هود كانت عبادة الأصنام التي انتقلت إليهم من قوم نوح ، وكانت تكذيب الرسل وكانت التكبر والتجبر والغرور بالقوة التي لم يخلق مثلها في البلاد ، قوة الأجسام ، وقوة الحواس ، وقوة المال ، وقوة المعمار والمساكن ، وقد ذكرهم هود بأن المانح لهذه القوة هو الله ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ (٥)، ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ (٦)،﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٧)،﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ (٨)،﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

---

(١) سورة الذاريات ، رقمها ٥١ : الآيتان ٤١ ،٣٢.

(٢) سورة القمر ، رقمها ٥٤ : الآيات من ١٨ إلى ٢١ .

(٣) سورة الحاقة ، رقمها ٦٩ : الآيات من ٤ إلى ٨ .

(٤) سورة الفجر ، رقمها ٨٩ : الآيات من ٦ إلى ٨ .

(٥) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٦٩ .

(٦) سورة هود ، رقمها ١١ الآية ٥٢ .

(٧) سورة هود ،رقمها ١١ : الآية ٥٩ .

(٨) سورة الأحقاب ، رقمها ٤٦ : الآية ٢٦

الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أ﴾[1]﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [2]،﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾[3]

والهدف من ذكر جريمتهم من جوانبها المختلفة بأساليب متنوعة تحذير الكافرين وجريمتهم مثل جريمتهم – أن يصيبهم مثل ما أصابهم ، وكأنه يقول لهم ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [4]

﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ {٢١} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[5]

والمحقق في التعبيرات عن هذه الجريمة لا يجد فيها تكراراً ، وإنما يجد تعبيرات متنوعة عن مقامات متغايرة تماماً كمنظر قصر من القصور ، أخذت له صور متعددة من جوانب مختلفة ، وكل صورة تعبر عن جزء الحقيقة ، ومجموعها يمثل الحقيقة ، ويحقق الهدف .

والأمر نفسه في الحوار الذي دار بين هود عليه السلام وبين قومه ، صور كثيرة ، وتعبيرات متنوعة ، ومع ذلك هي لا تمثل كل المحاورات التي تمت في سنين ، ومع جماعات كثيرين ، كل جماعة تحاور بغير ما حاورت به الأخري ، فهي وإن تشابه الحوار ، فليس هو من التكرار ، وقد شغل الحوار في هذه القصة وفي أمثالها

(١) سورة فصلت ، رقمها ٤١ : الآية ٢٦ .
(٢) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآيات من ١٢٨ إلى ١٣٠ .
(٣) سورة هود رقمها ١١ : الآية ٥٠ .
(٤) سورة القمر ، رقمها ٥٤ : الآية ٤٣ .
(٥) سورة غافر ، رقمها ٤٠ : الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

الجانب الأكبر ، لأنه الركن الأساسي المقصود فيها ، والذي من شأنه يحقق الهدف عن طريق الإقناع ، وللتأكد من عدم التكرار نورد بعضه .

فهود عليه السلام يقول﴿ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [1]﴿اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴾[2].

الأمر بالعبادة في الأولي توطئة للأمر بالتقوى ، وتبكيت وتوبيخ علي عدمها ، والأمر بالعبادة في الثانية توطئة للنهي عن التجبر والافتراء ، كما تقول ، راقب الله وصل الخمس – راقب الله ولا تكذب ، ليس في هاتين الجملتين تكرار عند العلماء علي التحقيق .

وقومه يقولون ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾[3] ، ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ [4]،﴿ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [5].

وهود عليه السلام يقول : ﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [6].

وقومه يقولون ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [7]،﴿ إِن

(١) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٦٥ .
(٢) سورة هود ، رقمها ١١ ، الآية ٥٠ .
(٣) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٧٠ .
(٤) سورة الأحقاب ، رقمها ٤٦ : الآية ٢٢ .
(٥) سورة هود ، رقمها ١١ ، الآية ٥٣ .
(٦) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٧١ .
(٧) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٦٦ .

نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [١]، ﴿ لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾[٢].

وهود عليه السلام يقول أتعجبون ﴿ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [٣] أو لست مثل نوح الذي جعلكم الله خلفاءه في الأرض ؟ ألم يكن بشراً مثلي؟ يا قوم لا أسألكم علي دعوتي لكم أجراً حتى أثقل عليكم ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ﴾[٤]كما قال نوح ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [٥]ولست من الكاذبين بل رسول من رب العالمين .

يا قوم اذكروا نعم الله عليكم وآمنوا به يزدكم قوة إلى قوتكم ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٦].

وقومه يقولون :﴿ سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [٧]، لا أحد أشد منا قوة ، لا تخف علينا العذاب ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين .

وهود ويقول : إنما علم عذابكم ووقته وكيفيته عند الله انتظروا إني معكم من المنتظرين ، ويأتيهم العذاب في صورة سحاب ، وهم ينتظرون المطر مجدبين ، فيقولون : هذا سحاب ملئ بالماء سيمطرنا .

---

(١) سورة هود ، رقمها ١١ ، الآية ٥٤ .
(٢) سورة فصلت ، رقمها ٤١ : الآية ١٤ .
(٣) سورة الأعراف ، ٧ : الآية ٦٩ .
(٤) سورة يونس ، رقمها ١٠ : الآية ٧٢ .
(٥) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٦٧ .
(٦) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٥٩ .
(٧) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآية ١٣٦ .

ويقول هود : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [١].

وتعبر الآيات عن عقابهم بعبارات ، هي في مجموعها صفات له ، فتقول : ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٢]﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[٣]،﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [٤] ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾[٥]﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ *تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [٦]﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ *مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾[٧]،﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾[٨]، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ {٦} سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ {٧} فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾[٩].

كانت مساكن عاد في أرض الأحقاب ، وهي تقع في شمال حضر موت ، وفي شمالها الربع الخالي ، وفي شرقها عمان ، وموضع بلادهم اليوم رمال ، ليس بها أنيس [١٠].

---

(١) سورة الأحقاب ، رقمها ٤٦ : الآية ٢٤ .
(٢) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٧٢ .
(٣) سورة هود ، رقمها ١١ : الآية ٥٨ .
(٤) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآية ١٣٩ .
(٥) سورة فصلت ، رقمها ٤١ : الآية ١٦
(٦) سورة الأحقاب ، رقمها ٤٦ : الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .
(٧) سورة الذاريات ، رقمها ٥٤ : الآيتان ١٩ ،٢٠ .
(٨) سورة القمر ، رقمها ٦٩ : الآيتان من ٦ إلى ٨.
(٩) سورة الحاقة ، ورقمها ٦٩ : الآيتان من ٥الى ٨ .
(١٠) قصص الأنبياء / لعبد الوهاب النجار ٧١.
– انظر دائر المعارف الإسلامية / يصدرها باللغة العربية : أحمد الشنتناوي – إبراهيم زكي خورشيد – عبد الحميد يونس / ١٥ /٤٥٣ .

ومثل قصة هود وعاد في الجريمة والحوار والعقوبة والهدف قصة صالح وقومه ثمود ، وقصة شعيب وأهل مدين ن وقصة نوح وقومه ، وقصة قوم لوط ، ويقرن الله تعالي كل ذلك في قرن واحد ، فيقول : ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ {٤٢} وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ {٤٣} وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ {٤٤} فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ {٤٥} أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

وهناك قصص أخري ، تناولت أيضاً جانباً واحداً من جوانب الرسول ، لكنه جانب المنة عليه بما أنعم الله عليه من نعم كقصة زكريا وأيوب وداود وسليمان عليهم السلام، والهدف من هذه القصص الترغيب والتبشير لمن يستجيب لأمر الله ، ويعمل بطاعة الله، وبذلك يتم الترهيب بالمجموعة الأولي ، والترغيب بالمجموعة الثانية .

رابعا : قصص طويلة تكررت أحداثها

بقي نوع من القصص تناولت القصة فيه جوانب متعددة من حياة الرسول ، كما تكرر التعبير عن بعض هذه الجوانب تكراراً يثير التساؤل عن فائدته وحكمته ، وعن الفروق التفسيرية لكل عباراته ، وهذا هو المقصود الأول بهذا البحث .

ومن هذا النوع قصة آدم وإبراهيم وموسي وعيسي عليهم السلام ، وسأكتفي بعرض نماذج من قصتي آدم وموسي عليهما السلام ، تحقق الغرض من البحث ، والله ولي التوفيق

التكرار في قصة آدم عليه السلام :

تناول القرآن قصة آدم من عدة جانب خلفه: وجانب سجود الملائكة له وجانب إبليس وإبائه ، وجانب خلق حواء منه وله ، وجانب إسكانهما الجنة ، وجانب أكلهما من

---

(١) سورة الحج ،رقمها ٢٢ : الآيات من ٤٢ إلى ٤٦ .

الشجرة ، وخروجهما من الجنة ، وجانب هبوطهما إلى الأرض ، وعداوة إبليس لهما ولذريتهما .

ففي جانب خلقه يقول :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ [2]﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[3]﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾[4] ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ ﴾[5]﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[6]﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[7]،﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [8].

وقد اختلف أهل التأويل في معني الصلصال ، فقال بعضهم : هو الطين اليابس لم تصبه نار ، فإذا نقرته صل ، فسمعت له صلصلة ، واللازب الجيد ، والصلصال : التراب المرقق ، وقيل : التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة وعن ابن عباس : اللازب اللاذق ، والصلصال المرقق لذي يصنع منه الفخار الذي يصلصل ، مثل الخزف ، وقيل : الصلصال المنتن ، والمسنون المتغير إلى السواد[9] .

---

(١) سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآية ٣٠ .
(٢) سورة الفرقان ، رقمها ٢٥ : الآية ٥٤ .
(٣) سورة آل عمران رمقها ٣ : الآية ٥٩ .
(٤) سورة السجدة ، رقمها ٣٢ : الآية ٧ .
(٥) سورة ص ، رقمها ٣٨ : الآية ٧١ .
(٦) سورة الصافات ، رقمها ٣٧ : الآية ١١ .
(٧) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآية ٢٦ .
(٨) سورة الرحمن ، رقمها ٥٥ : الآية ١٤ .
(٩) تفسير الطبري / المسمي جامع البيان في تأويل القرآن / ج ٧ ٥١١ ، ٥١٢ بتصرف .
- وانظر زاد المسير في عالم التفسير / لابن الجوزي / ٤ /٣٩٧، ٣٩٨ .
- وانظر التفسير القرآني للقرآن / لعبد الكريم الخطيب / ١٤ ٢٣٢ .
- وصفوة التفاسير / للصابوني / ٢ /١٠٨ .

فهذه الآيات تتكلم عن المادة التي خلق منها آدم عليه السلام (ماء – تراب– طين – طين لازب أي يلتصق باليد – حمإ مسنون – طين منتن – صلصال كالفخار)، ولو أمعنا النظر لوجدنا كل آية تغاير الأخرى في قيد من قيودها ، وقد يتبادر إلينا لأول وهلة أنها متعارضة ، تثير القلق في المادة التي خلق منها آدم ، أهي الماء ؟ أم التراب؟ أم الطين ؟ أم الصلصال ؟ والحقيقة إنها تعبيرات عن مراحل الخلق ، وأطوار التكوين، فالماء إذا اختلط بالتراب صار طيناً ، وإذا ترك الطين حتى أنتن صار حمأ مسنوناً ، ثم أصبح لزجاً ، ثم صار صلصالاً قابلاً للتشكل ، فإذا تعرض للشمس أو للنار صار كالفخار .

فهذه مراحل الخلق ، كل تعبير يصور واحدة منها ، كما تقول : هذا الرجل الشيخ كان حملاً في بطن أمه ، هذا الرجل الشيخ كان طفلاً ، هذا الرجل الشيخ كان صبياً ، هذا الرجل الشيخ كان شاباً ، فلا تكرار في هذه الجمل ، وإن تكرار منها كلمات .

خلق الله آدم فأحسن خلقه ، وصوره بيده ، جعل له يدين ولساناً وشفتين ، وأقامه علي رجلين ، ثم نفخ فيه من روحه ، وقال له : كن فكان .

علمه النطق واللغة التي يتفاهم بها مع غيره ﴿ الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [١] ، وأعده لحياة الأرض (فعلمه اسم كل شيء من جميع المخلوقات دقيقها وجليلها) [٢] ، علمه صفات الأشياء ونعوتها وخواصها [٣] ، علمه

(١) سورة الرحمن ، رقمها ٥٥ : الآيات من ١ إلى ٤ .

(٢) انظر تفسير ابن عطية / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز /ج١ /ص ٢٣٤ /ط١.
- وتفسير البغوي " معالم التنزيل " / ج١ /ص ٨٠ .
- وغرائب القرآن ورغائب الفرقان / للنيسابوري / ج١ /ص ٢٣٨ .
- وتفسير مجاهد / ٧٣ ، وروح المعاني / للألوسي /١/٢٢٤.

(٣) تفسير الفخر الرازي /١/١٩٢ .
- وروح المعاني للألوسي /١ / ٢٢٤ .

أصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها [١] ، وشاء الله أن يرفع قدر آدم أمام الملائكة بأن يظهره أعلم منهم ، وقدر المخلوق وقيمته في درجة علمه ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٢]﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [٣]،﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلآئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ *قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٤].

هذا الجزء من القصة لم يتكرر في القرآن ، وما لم يتكرر جاء علي أصله ، وما جاء علي أصله لا يسأل عن علته قال الفخر الرازي قالت المعتزلة : إن ما ظهر من آدم عليه السلام من علمه بالإسماء معجزة دالة علي نبوته عليه السلام في ذلك الوقت ، والأقرب أنه كان مبعوثاً إلى حواء ، ولا يبعد أيضاً أن يكون مبعوثاً إلى من توجه إليهم التحدي من الملائكة ، وإن كانوا رسلاً ، فقد يجوز الإرسال إلى الرسول كبعثة إبراهيم إلى لوط عليهما السلام [٥] .

سجود الملائكة لآدم

وقد تكرر هذا المشهد في القرآن سبع مرات :

(١) روح المعاني للألوسي /١/٢٢٤ .

(٢) سورة الزمر ، رقمها ٣٩ : الآية ٩ .

(٣) سورة المجادلة ، رقمها ٥٨ : الآية ١١ .

(٤) سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآيات من ٣١ إلى ٣٣ .

(٥) تفسير الفجر الرازي /١/٢٣١ .

ففي الاية ٣٤ من سورة البقرة ﴿ وإذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وفي سورة الأعراف ، الآية ١١﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾

وفي سورة الحجر الآيات ٢٨- ٣١ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ *فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ *إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾.

وفي سورة الإسراء ، الآية ٦١﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾.

وفي سورة الكهف ، الآية ٥٠﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ .

وفي سورة طه ، الآية ١١٦ ﴿ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ .

وفي سورة ص ، الآيات من ٧١ -٧٤ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ {٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {٧٢} فَسَجَدَ الْمَلَآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {٧٣} إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ .

يقول الألوسي : المعني : (وكان في علم الله من الكافرين ، أو كان من القوم الكافرين الذين كانوا في الأرض قبل خلق آدم ، وقيل : كان بمعني صار ، وقال أبو العالية : كان من العاصين ، فالمراد كفر النعمة .

ثم الظاهر أن كفره كان عن جهل ، بأن استرد الله منه ما أعاره من العلم الذي كان مرتدياً به حين كان طاووس الملائكة ، وقيل : كان عن عناد ، حمله عليه الغرور

وحب الرياسة ، والإعجاب بما أوتي من النفاسة ، ولم يدر المسكين انه لو امتثل ارتفع قدره ، وسما بين الملأ الاسمي فخره ، ولكن) [١].

إذا لم يكن عون من الله للفتي فأول ما يجني عليه اجتهاده [٢]

وفي هذا المشهد ثلاثة أجزاء : الأمر الصادر للملائكة من الذات العلية بالسجود – انصياع الملائكة للأمر فور صدوره وسجودهم ، وهذان الجزءان مكرران في المرات السبع ، وقد تتكرر الجملة أو جزء الجملة أو الجمل ليترتب عليها الجديد ، أي توطئة وتمهيداً للجديد ، وهو هناك كذلك ، والجديد هو الجزء الثالث ، موقف إبليس ، وقد عبر عنه بسبع تعبيرات مختلفة هي (أبي) والإباء الامتناع مع الأنفة ومع التمكن من الفعل [٣].

﴿ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ والإباء مع مخالفة الإجماع أقبح من الإباء دون مخالفة ففي هذا التعبير زيادة جرم ، وقد استقلت هذه الزيادة بالتجريم في سورة الأعراف﴿ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ ، كما أضيفت جنايات أخري في قوله ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ، وحذف الإباء في سورة " ص " فقال : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ

---

(١) روح المعاني للألوسي /١/ ٢٣١ .

(٢) البيت للخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من البحر الطويل ، وقد ورد بالصيغة الاتية:

إذا لم يكن عون من الله للفتي فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

وقد قال بنفس المعني الشاعر عبد الغفار الأخرس ، وهو من البحر الطويل أيضاً

إذا لم يكن عون من الله للفتي فكل معين ما عدا الله خاذل

والأخرس شاعر من فحول المتأخرين ولد في الوصل (١٢٢٥ هـ -١٢٩٠ هـ= ١٨١٠ م - ١٨٧٣م) ،ونشأ في بغداد وتوفي في البصرة ، ولقب بالأخرس لحبسة كانت في لسانه ، وله ديوان يسمي (الطراز النفس في شعر الأخرس) ، وقد استقيت هذه المعلومات من:

- الموسوعة الشعرية الصادرة عن المجمع الثقافي في أبو ظبي سنة ٢٠٠٣ م .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / للألوسي /١/٢٣١ .

استَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ والتكبر أن يري الشخص نفسه أكبر من غيره ، وهو مذموم ، وإن كان أكبر فعلاً ، فإن كان غير أكبر كان أشد جرماً [١].

﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾

﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾

فهذه تعبيرات سبعة في سبع آيات ، ترفع منها ظاهرة التكرار ، ويفيد كل منها غير ما يفيده الأخر.

محاورة إبليس لربه :

وذكرت هذه المحاورة في أربعة مواضيع من القرآن بأربعة تعبيرات :

في سورة الأعراف :﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ *قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ *قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ *ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢].

وفي سورة الحجر :﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ *قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ *قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي مطرود من رحمتي[٣]﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ *قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ *قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ *قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ *إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٤].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / للألوسي /١/ ٢٣١ – بتصرف

(٢) الآيات من ١٢ –١٨ .

(٣)صفوة التفاسير / للصابوني /٢/ ١٠٩ .

(٤) الآيات من ٣٢ – ٤٣ .

وفي سورة الإسراء: ﴿ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا *قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّـذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً *قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا *وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِـدُهُمُ الشَّـيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا *إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾[١]

وفي سورة ص : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ *قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ *وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ *قَالَ رَبِّ فَـأَنظِرْنِي إِلَـى يَـوْمِ يُبْعَثُونَ *قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ *إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ *قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَـأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ *لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢].

والمدقق في هذه المحاورة يجدها اشتملت علي أربع زوايا:

١- سؤال الرب جل جلاله إبليس عن دوافع هذه المعصية – وهو أعلم به ، ولكنه يريد استخراج الجواب ، ليكون إقراراً وتسجيلاً عليه بالجريمة ، والتظهر الحكمة في العقوبة.

٢- أجوبة إبليس ، وتخبطه في تلمس الأعذار ، وتوعده لآدم وذريته .

٣- العقوبة والحكم علي إبليس ، وإجابته إلى الأنظار والتأجيل الذي طلبه .

٤- نتيجة هذا الابتلاء .

والمحقق في التعبيرات عن هذه الزوايا يجدها متغايرة متكاملة يمكن تنسيق كل زاوية في مقالة واحدة .

وهكذا وقف العدو الأول لآدم وذريته مجاهراً بعداوته ، معلناً حربه ، وبدأت المعارك ومازالت قائمة، وستظل قائمة إلى يوم القيامة .

---

(١) الآيات من ٦١ –٦٥ .

(٢)الآيات من ٧٥ –٨٥ .

وخلق الله لآدم حواء ليسكن إليها ، خلقها منه وله ، ليبث منهما رجالاً كثيراً ونساء كثيرات ، وأسكنهما جنته .

أدم وحواء في الجنة :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً﴾ – أي هنيئا [1]- ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ *فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ – حملها علي الزلة بسببها – [2]﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ – أي كان سبباً في أكلهما من الشجرة ومعصيتهما أو أمر ربهما ، مما كان سببا في إخراجهما من الجنة – ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3].

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا﴾ – أي أقسم لهما – [4]﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[5].

يقول المفسرون : الجنة في المشهور دار الثواب للمؤمنين يوم القيامة ، لأنها المتبادرة

---

(١)تفسير التحرير والتنوير / للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور /٤٣٢/١

(٢)الأساس في التفسير / سعيد حوي /١١٨/١ .

(٣) سورة البقرة ، رقمها ٢: الآيات من ٣٥ إلى ٣٧ .

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان / للنيسابوري /٨ /٩١ .

(٥) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآيات من ١٩ إلى ٢٥ .

عند الإطلاق ، ولسبق ذكرها في السورة ، وفي ظواهر الآثار ما يدل علي ذلك [1] ، فقد روي البخاري عن النبي ﷺ قال : " احتج آدم وموسي ، فقال له موسي : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال له آدم : يا موسي اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك بيده ، أتلومني علي أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسي فحج آدم موسي ثلاثاً [2] أي غلبه بالحجة وأسكته [3].

والحق أن خروج آدم من الجنة ، وهبوطه إلى الأرض كان مقدراً قبل خلقه ، وأعلم الله به ملائكته بقوله ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [4]، فكانت الملائكة تعلم أنه من الأرض والى الأرض ، وقد كانت فترة سكنه الجنة فترة مؤقتة ، كالمسافر ينزل في طريق سفره ، فيستريح ، ثم يتابع المسير إلى المقر ، وإن كان هذا المقر ليس النهاية ، وهذا معني قول الله تعالي : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[5]

وموضوع القدر موضوع متشعب طويل الذيل ، ليس هذه محله ، وكل ما نقوله : إن الله تعالي قدر جميع الأشياء ولا يقع في ملكه إلا ما قدر ، لكن إخفاء ما قدره علينا ، وتغييبه عنا يجعل لنا نصيباً في الاختيار ، وتحمل المسئولية ، ولذلك نسب إلى آدم عليه السلام التقصير فقال تعالي : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [6] ،

وقد اختلف العلماء في الجنة التي سكنها آدم وأكل من شجرتها وأخرج منها

---

(١) روح المعاني / للأوسي / ١/ ٢٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة / كتاب القدر / باب تحاج آدم وموسي عند الله /١٥٧/٨ / عن أبي هريرة .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / لابن حجر العسقلاني / ٥١٥/١١ .

(٤) سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآية ٣٠ .

(٥) سورة طه ، رقمها ٢٠ : الآية ٥٥.

(٦) سورة طه ، رقمها ٢٠ : الايتان ١٢١ ،١٢٢ .

فقيل : هي في السماء ، حيث شاء الله منها ، وهي جنة عدن التي هي دار المؤمنين في الآخرة ، وقيل : جنة أخري خلقها الله امتحاناً لآدم عليه السلام ، وقيل : كانت حديقة في الأرض ، أو في مرتفع منها إذ لم يذكر في القصة انه تعالي نفله من الأرض إلى السماء [١]

كما اختلفوا في الشجرة التي نهي عن الأكل منها فقيل : الحنطة ، وقيل : النخلة ، وقيل : شجرة المحبة .

يقول الألوسي : "وقيل ... وقيل ... والأولي عدم القطع والتعيين حيث إن الله تعالي لم يعينها في الآية ، ولا أري ثمرة في تعيينها " [٢] .

ويقول الفخر الرازي : " واعلم أنه ليس في الظاهر ما يدل علي التعيين ، فلا حاجة أيضاً إلى بيانه ، لأنه ليس المقصود من هذا الكلام أن يعرفنا عين تلك الشجرة ، وما لا يكون مقصوداً في الكلام لا يجب علي الحكيم أن يبينه ، بل ربما كان بيانه عبثا"[٣] .

وقد تساءل الباحثون : كيف وسوس الشيطان لهما ، وهما في الجنة ، وهو قد طرد منها ؟ فقيل : دخل الجنة ابتلاء لآدم وحواء ، وقيل : قام عند الباب فناداهما وأفسد حالهما عن طريق حلفه لهما بالله إذ دلاهما بغرور الحلف .

وكان بعض أهل العلم يقول : من خادعنا بالله – أي بالحلف بالله – خدعنا ، فخدعهما ، ومازال يخدع ويغرر ويكلم بزخرف القول الباطل [٤] .

والتحقيق أن وسوسة الشيطان لهما لا يحتاج كيفية دخول وخروج ، فهو وجنوده يدخلون المساجد ، ويجرون من ابن آدم مجري الدم :، ويعجبني قول ابي

---

(١) روح المعاني / للوسي / بتصرف / ١ /٢٣٣ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) تفسير الفخر الرازي /٦/٣ .
(٤) تفسير الطبري /ج ٥ /ص ٤٥١ .

المنصور : ليس لنا البحث عن كيفية ذلك ، ولا نقطع القول بلا دليل[١] .

وقد ذكر في القرآن آدم وحواء والجنة مرتين : مرة في سورة البقرة ، ومرة في سورة الأعراف ، وهو مشهد واحد عبر عنه بعبارات بعضها بنفس اللفظ توطئة لما سيبني عليه ، وبهذا الاعتبار يكون جديداً غير مكرر .

وكانت النتيجة ان خرج آدم وحواء من الجنة بعد أن بدت لهما سوءاتهما ، وبعد أن حاولا ستر عورتهما بورق الجنة .

وبعد أن تابا وتاب الله عليهما ، وعذرهما ، وغفر لهما ، هبطا إلى الأرض ومعهما إبليس ، بث منهما رجالاً كثيراً ونساء كثيرات ، وتناسل إبليس ذرية كثيرة ، ومازالت الحرب قائمة ، والعداوة متأصلة ، والأسلحة ماضية ، وتبعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل .

التكرار في قصة موسي عليه السلام :

أما قصة موسي عليه السلام في القرآن فكانت أوسع قصة ، وتناولت جوانب متعددة من حياته عليه السلام .

تناولت إرضاعه ، وتربيته في بيت فرعون ، حتي بلغ الأشد ، وخروجه من مصر إلى أرض مدين ، وعودته إليها بعد مناجاته ربه علي الطور ، وتحميله الرسالة إلى فرعون،ومحاجة موسي عليه السلام مع فرعون والسحرة ، وآيات أرسلها الله علي فرعون وملئه ، وخروج بني إسرائيل من مصر ، وغرق فرعون وجنوده ، وموسي وبنو إسرائيل في سيناء ، وموسي في ميقات الله وذهابه عن بني إسرائيل ، واختيار موسي سبعين رجلاً لهذا الميقات ، واتخاذ بني إسرائيل العجل إلهاً ، ومسألة البقرة ، وقصة قارون ، وقصة الخضر ، وإيذاء بني إسرائيل لموسي ، وجوانب أخرى .

وللسائل أن يتساءل : لماذا كان الإسهاب والإطناب والانتشار في قصة هذا الرسول الكريم بما لم تحظ به قصة من القرآن ؟ والجواب أن الكثير منها مذكور في التوراة التي بأيدي الناس ، فكان هذا شاهد صدق علي صحة رسالة محمدﷺ ، وكان

---

(١) روح المعاني /ج١ /ص ٢٣٥ .

محمد بين أظهرهم ليل نهار ، فلم يروه جالساً أمام راهب يعلمه ، أو حبر يفهمه ، وكان أمياً لا يقرا ولا يكتب ، فمن أين له بهذه المغيبات التي مضي عليها قرون وقرون ؟ ثم ما كان في التوراة كان بالعبرانية ، ولم تكن هناك ترجمات تذكر ، فمن أين لمحمد العلم بالعبرانية ؟ ومن أين له الدقة والتفصيل الذي ليس في التوراة ؟ ومن أين له هذه الروعة والبيان والإبداع والدقة والبلاغة والفصاحة التي ليست في التوراة نعم ما في القرآن مصدق لما في التوراة الحقيقية التي لم يدخلها التحريف والتبديل ، إيماناً بقول الله تعالي : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [١]،﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [٢]،﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾[٣]

وقد ذكرت قصة تربية موسي في قصر فرعون وإرضاع أمه في سورتين : سورة طه و سورة القصص ، وما ذكر في كل منهما يكمل ما ذكر في الأخري .

ففي سورة القصص :﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ – أي البحر [٤] – والمقصود نيل مصر [٥]﴿وَلَا تَخَافِي ﴾– عليه الغرق والضياع [٦] –﴿ وَلَا تَحْزَنِي﴾– لفرقة [٧]﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا

(١) سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآيتان ٤٠ ، ٤١ .
(٢) سورة المائدة ، رقمها ٥ : الاية ٤٨ .
(٣) سورة فاطر ، رقمها ٣٥ : الآية ٣١ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه / للزجاج / ٤ /١٣٣ .
(٥) تفسير الثعالبي / الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن /٣/ ١٧١ .
(٦) تفسير النسفي / لعبد الله بن أحمد بن محمود النفسي / م٢ /ج٣ / ٢٢٦ .
(٧) المصدر السابق .

خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١]

وفي سورة طه :﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾

قال أبو السعود : " ليس المراد بالساحل نفس الشاطئ ، بل ما يقابل الوسط ، وهو ما يلي الساحل من البحر ، بحيث يجري ماؤه إلى نهر فرعون. [٢]

﴿ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي* إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾

حدث واحد عبر عنه بتعبيرات مختلفة ، فهو وإن تكرر كحدث لم يتكرر كوصف ، بل صور بصورتين متكاملتين ، كقصر واحد ، أخذت له صور من جوانب ، وهذه هي الصور الكاملة كما المفسرون .

رأي فرعون رؤيا ، أولها له حكماؤه بأن طفلاً من بني إسرائيل سيولد ، تكون نهايته علي يديه ، فقرر ذبح من يولد من بني إسرائيل ، ولدته أم موسي ، وأوحي الله إليها – عن طريق الإلهام أو المنام أو بواسطة جبريل عليه السلام – ان أرضعيه ، فإذا خفت عليه فاجعلي له صندوقا محكماً ، واطليه بالقار ، فألقيه في النيل ، ولا تخافي ولا تحزني إنا سنرده إليك ، وسنجعله من المرسلين . ولاشك أن الله تعالي ألقي في قلبها اليقين بصدق هذا الوحي ، والثقة فيه ، فما كانت لتلقي ابنها في البحر لو أن عندها ذرة من الشك فيه ، ثم إن البشري بأنه سيرده إليها ، وسيجعله من المرسلين لا تكون إلا

(١) الايات من ٧-١٣ .
(٢) تفسير أبي السعود / إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / ج٣ / ص ٤٦١ .

عن طريق وحي مأمون ، صنعت الصندوق ،وفرشته بقطن ، ووضعته فيه ، وأحكمت غلقه ، وقيرته ، وقذفته في النيل .

فتقاذفته الأمواج حتي وصل إلى حوض ماء في قصر فرعون ، فالتقطوه ، وذهبوا بالصندوق إلى آسية امرأة فرعون ، فتحته ، فرأت طفلا يحيط به النور ، يلقي الله محبته في قلب كل من يراه ، ليتربي في رعاية الله ﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾[1] وعرفت آسية أنه من بني إسرائيل ، فقالت : ﴿ **لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** ﴾ [2]

اما أم موسي فمع ثقتها فيما أوحي إليها كاد قلبها ينخلع من صدرها مع إلقائها ابنها في البحر ، وأصبح فؤادها فارغا من وعد الله ووحيه ، يملؤه الجزع والهلع والفزع ، إنها أم ، ولقد داهمها الخوف والحيرة ، إنها تكاد أن تذهب إلى قصر فرعون، لتقول الحقيقة ، لعلها تنقذ ولدها الذي وقع في أيديهم ، لولا أن الله ربط علي قلبها لتظل علي إيمانها وثقتها فيها فيما أوحي إليها,

وحرم الله علي موسي أن يلتقم ثدي أمرأة غير أمه ، وقد جاءوه بوالدت ولدن حديثا يملأ اللبن صدورهن ، وانفطر قلبها لتظل علي إيمانها وثقاها فيها أوحي إليها .

وحرم الله عي موسي أن يلتقم ثدي امرأة غير أمه ، وقد جاءوه بوالدات ولدن حديثاً يملا اللبن صدورهن ، وانفطر قلب أسية امرأة فرعون علي هذه الطفل الجائع الباكي الرافض للمرضعات ، وقد أحبته حباً امتزج بدمها ، وقد كانت أخته قد دخلت قصر فرعون مع المرضعات ورأت رفضه لثديهن ، فعرضت علي امرأة فرعون أن تأتيها بأمرأة صالحة ترضعه ، لعله يرضع منها ، قالت : أنا أدلكم علي امرأة تكفله وترضعه وهي له من الناصحين ، فسألوها : وما يدرك ما نصحها وإخلاصها له ؟ هل يعرفونه وتعرفينه ، وشكوا فيها وفي نصيحتها ، فقالت : نصحهم له شفقة عليه ، ورغبتهم فى رضاء الملك والتقرب، إليه ، فتركوها ، فجاءت لأمها ، فأقبل علي ثديها حتي ارتوي [3] .

---

(١) الآيات من ٣٧ - ٤٠ .

(٢) امظر روح المعاني / للألوسي /ج٢٠ / ص ٤٦ ، ج ١٦ / ص ١٨٩ .

(٣) روح المعاني / ١٩١/١٦ .

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما " أن امرأة فرعون قالت لأم موسي : امكثي عندي أرضعي ابني هذا ، فإني لم أحب حبه شيئاً قط ، قالت : لا أستطيع أن ادع بيتي وولدي ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي ، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي ، وتذكرت أم موسي ما كان من وعد الله عز وجل فتعاسرت واشترطت علي امرأة فرعون ، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها "[1]

وقد ذكرت التوراة قصة ولادة موسي وإرضاعه ، وصنع الصندوق ، وطلاءه بالقار ، لكن فيها أن ابنة فرعون خرجت ومعها جواريها إلى شاطئ النهر ، وأنها نزلت تغتسل ، فعثرت علي الصندوق الذي به موسي ، لأنها رأته بين حشائش الحلفاء، وأمرت جواريها فأتين به إليها والقصة في التوراة لا تختلف كثيراً عما قصه القرآن ، غير أن القرآن يقول : إن التي تبنته امرأة فرعون ﴿ **وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ** ﴾.

وما في سفر الخروج يقول : إنها ابنته ،والقرآن يقول : ﴿ **أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ** ﴾ والتوراة تذكر أن أم موسي وضعته بالساحل مباشرة بادئ ذي بدء [2] .

موسي عليه السلام بعد أن بلغ الأشد:

بعد سن الرضاع أعيد موسي إلى قصر فرعون ، فتربي فيه كطفل وصبي وهو يعلم أنه دخيل في هذا القصر ، وأنه إسرائيلي من الشعب المضطهد ، وطبع في نفسه أنه نصير بني إسرائيل من جبروت المصريين ، دخل المدينة والناس نيام فوجد فيها رجلين يقتتلان ، أحدهما فرعوني ، والآخر إسرائيلي ، فاستغاث به الإسرائيلي ، فوكز موسي الفرعوني بقبضة يده في صدره فقتله وقضي عليه ، ومع أنه قتل خطأ ندم موسي واستغفر وتاب ، وقال : ﴿ **هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / كتاب التفسير / سورة طه /٥٨/٧/ط ٣ ، وقال : رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح غير أصبح بن زيد والقسم بن أبي أيوب وهما ثقتان

(٢) قصص الأنبياء / لعبد الوهاب النجار / ص ١٩١ .

* قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ* فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ -يستغيث به﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ* فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ - خاف الإسرائيلي أن يضربه موسى [1] - ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [2] .

وإلى هذا يشير قول الله تعالي : ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [3] فتنة الخوف من القصاص ، وفتنة الخروج بعيداً عن الأهل والوطن إلى غير مأوي معلوم ، وفتنة الجوع ، وفتنة المشي الطويل علي الأقدام .

كان ذلك حيث بلغ أشده ، واستوي شباباً وقوة وعقلا ، وذلك بعد الثمان عشرة إلى الثلاثين .وإلي هذا يشير قول الله تعالي : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [4].

موسي في أرض مدين .

سار موسي علي قدميه ثمانية أيام ، لا يطعم إلا ورق الشجر ، من غير معرفة بطريق ، ومن غير مقصد معلوم ، لكن بهداية الله وحده ، ومدين بلاد تقع علي بحر القلزم محاذية لتبوك ، علي نحو من ست مراحل وهي اكبر من تبوك ، وبها البئر التي استقي منها موسي عليه السلام لسائمة شعيب ، وهي مدينة قوم شعيب ،وقيل بين وادي

(١) هذا ما أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / كتاب التفسير / سورة طه /٧/ ٥٩ – ٦٠/ ط٣ وتقدم تخريجه ص ٢٦ .

– وذكر القصة الألوسي (الفرعوني) باسم (قبطي) ، انظر روح المعاني /للألوسي / ٢٠/٥٢ – ٥٨ .

(٢) سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الآيات من ١٤ إلى ١٩ .

(٣) سورة طه ، فمها ٢٠ : الآية ٤٠ .

(٤) سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الآية ٣٣ .

القري والشام ، وقيل بين المدينة والشام [1] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما:"لم يكن له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه " [2] .

يحكي القرآن هذه القصة من غير أن يكررها ، فيقول : ﴿ يقون﴾ – جماعة كبيرة من الرعاة – ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ﴾ مواشيهم من حوض علي بئر﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ – ومن خلفهم بعيداً عن الحوض﴿ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تدفعان غنهما عن الماء خوفاً من السقاة الأقوياء وبدافع النخوة والمروءة وحب وحب الخير للغير اتجه نحوهما ، وسألهما ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ؟ ولم تظلان بعيدتين بغنمكما عن الماء ؟﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا نستطيع أن نزاحم الرجال ،ولا نستطيع أن نسقي حتى يسقوا وينصرفوا ، هذا شأننا كل مرة ، فزاحم موسي بغنمهما﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ رب إني لما تنزل إلى من رزق فقير ، أنا جائع محتاج كسرة خبز، ذهبت المرآتان بغنمهما ، ولم يمض وقت طويل حتي عادت إحداهما ﴿ فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء﴾ يملؤها الخجل والحياء ، كيف تكلم رجلا لا تعرفه ؟ وكيف تمشي معه وحدهما ؟ وكيف تدعوه أن يتبعها إلى بيتها ؟﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ ولم يتعفف موسي عن أجرما عمل ، فهو جائع محتاج ، ولأن يأخذ أجراً خير من أن يأخذ صدقة ، قبل وسار وراءها ، فكشف الريح بعض ثيابها ، فطلب منها أن تمشي خلفه ، وتشير عليه إلى اليمين أو إلى الشمال ، ولذلك وصفته بالأمين﴿ فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ فلا يمتد سلطانهم إلينا[3] ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي

(١) انظر معجم البلدان / لياقوت الحموي / ج ٥ / ص ٧٧ .

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي / ٦/ ٢١٢ .

(٣) زاد المسير في علم التفسير /لابن الجوزي / ٦/٢١٢ –٢١٥ تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور / للسيوطي / ٦/٤٠٧ – ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمه من الناس جماعة كبيرة من الرعاة يسقون مواشيهم.

ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ ثماني سنين [١]﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٢]

ولم تحدثنا الآيات عن حياته في أرض مدين ، ولم يزد ما في التوراة عما جاء في القرآن الكريم ، غير أن فيها أن الشيخ طلب استئجار موسي ابتداء ، وليس فيها أن العرض كان من إحداهما أولا كما ذكرت التوراة أن بنات الشيخ كن سبعاً ، لا اثنتين . قال ابن كثير : " وهذا من الغلط ، ولعلهن كن سبعاً ، ولكن إنما كان الرعاة اثنتين منهن، وهذا الجمع ممكن إن كان ذلك محفوظا ، وإلا فالظاهر أنه لم يكن له سوي بنتين " [٣].

موسي عليه السلام والمناجاة :

وقد ذكرت هذه القصة في القرآن عدة مرات :

ففي سورة القصص : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ يقول ابن كثير : عن عباس رضي الله عنهما قال : قضي موسي أكثرهما وأطيبهما ، إن رسول الله إذا قال فعل " [٤] .

﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ يقول ابن كثير : كان معه ولدان وغنم استفادها مدة مقامه"[٥]، وعند الطور وفي ليلة باردة ﴿ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ هنا ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي أبصرت ناراً أيصارا بيناً لا شبهة فيه﴿ لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق السليم الموصل لنا إلى بغيتنا ، لعلي أجد عندها من يخبرنا فقد

---

(١) مختصر تفسير الخازن / اختصره الشيخ عبد الغني الدقر /١١٧٢/٣
وتفسير النفسي /م٢/ج٣/ص٢٣١ -٢٣٣ .
(٢) سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الآيات من ٢٣ إلى ٢٧ .
(٣) قصص الأنبياء / لابن كثير / ٣٤٦ .
(٤) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / ٣٩٧/٣.
(٥) قصص الأنبياء / لابن كثير / ٣٥٣ .

ضللنا الطريق [١] ، ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ الجذوة ما يبقي من الخشب ناراً بعد الالتهاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [٢] تستدفئون[٣] .

وعن هذا المشهد نفسه يقول الله تعالي في سورة طه : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ بشعلة مقتبسة[٤]﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾[٥] .

وفي سورة النمل ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ * إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾[٦].

فهذه تعبيرات لحدث واحد ، لذلك قال الألوسي : " والمراد بالشهاب القبس ، وبالجذوة القبس [٧] .

والإتيان بالخير إنما هو عن طريق من يجره علي النار ، ممن يهدي إلى الطريق وإيناس النار هو رؤيتها ، ومن المعلوم أن موسي لم يكن يتكلم بالعربية ، فهذه التعبيرات ترجمات من لدن حكيم خبير ، واللغة العربية غنية بالمترادفات وأسرار الكلمات والحروف فالمعبر عنه واحد ، والتعبيرات مختلفة فلا تكرار .

فلما وصل موسي إلى المكان إذا هو بنار عظيمة ، تفور من ورق شجرة خضراء شديدة الخضرة ، لا تزداد النار فيما يري إلا عظماً وتضرماً ، ولا تزداد الشجرة علي عظم الحريق إلا خضرة ، وحسناً ، فأراد أن يقتبس من لهبها ، فإذا هي قد خمدت ، فلما رأي ذلك قال : إن لهذا لشأناً ، وإنها لمأمورة ، فبينما هو كذلك إذ سمع شيئاً لم

---

(١) روح المعاني / للألوسي /٢٠ /٧٢ .
(٢) الآية ٢٩ .
(٣) روح المعاني / للألوسي / ج ٢٠ / ص ٧٢ ، ٧٣
(٤) روح المعاني / للألوسي / ١٦ / ١٦٥ .
(٥) الآيتان ٩،١٠ .
(٦) الآيتان ٦،٧ .
(٧) روح المعاني / للألوسي /١٦ / ١٦٥.

يسمعه السامعون [١] .

وتقص علينا الآيات ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ أمر بذلك ليدخل الحضرة الإلهية المقدسة بأدب وتواضع ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ واصطفيتك من بين الناس للنبوة والرسالة﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعي * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن واتبع هواه فتردي ﴾ فتهلك ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [٢] تمشي وتنتقل بسرعة [٣] .

وفي سورة النمل ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قيل : من في النار موسي عليه السلام ، ومن حولها الملائكة الحاضرون[٤]﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع علي عقبه بل لم يلتفت ولم ينظر إلى أثر عقبة من الإسراع في الجري والهروب الناشئ من الخوف الشديد من أن ، تدركه الحية ، وناداه ربه ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥] .

وفي سورة القصص ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أتي الشجرة ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ

---

(١)المصدر السابق ١٦٦ / بتصرف .

(٢)سورة طه ، رقمها ٢٠ : الآيات من ١١ إلى ٢٠ .

(٣)صفوة التفسير / للصابوني / ١٤٠/٢ .

(٤)انظر الميزان في تفسير القرآن / لمحمد حين الطباطبائي / ١٥ / ٣٤٣
وتفسير القاسمي المسمي محاسن التأويل /١٣/ ٤٦٥٨

(٥)سورة النمل ، رقمها ٢٧ : الآيات من ٨ إلى ١١

أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فنودي﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ في سورة النمل نهي عن الخوف ، وهنا نهي عن الخوف وطلب الإقبال والعودة إلى المكان الذي بدأ التولي منه ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [١] فرجع إلى مكانه ، ووقف خاشعاً خاضعاً ، والحية أمامه تتحرك ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا﴾ حين تمتد يدك إليها﴿ سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ عصا كما كانت ، فأخذها ، فقيل له : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أي أخل يدك اليمني من طوق جبتك ، وأجعلها تحت إبط اليسري ، ثم أخرجها ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ كالفضة ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ ولا برص﴿ آيَةً أُخْرَى ﴾ مضافة إلى العصا،﴿ لِنُرِيَكَ﴾ بعضاً[٢]﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ [٣] .

وفي سورة النمل ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أدخلها في فتحة قميصك التي تدخل فيها رأسك ، ثم ضعها تحت إبطك [٤] ، ثم أخرجها﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [٥] .

وفي سورة القصص﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [٦]

قال الزمخشري في الكشاف : " يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه ، وتشدده عند انقلاب العصا حية ، حتى لا يضطرب ولا يرهب ، استعارة من فعل الطائر : لأنه إذا خوف نشر جناحيه وأرخاهما ، أي رفرف بهما ، وإلا فجناحاه

---

(١)الآيتان ٣٠، ٣١ .

(٢)تفسير القاسمي / ١١ / ٤١٧٦ .

(٣)سورة طه ، رقمها ٢٠ : الآيات ٢١ –٢٣ .

(٤)انظر الأساس في التفسير / لسعيد حوي /٣٩٨٨/٧ بتصرف
ونظم الدر في تناسب الآيات والسور / لإبراهيم بن عمر الباقي /٤١٢/٥

(٥) الآية ١٢.

(٦)سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الاية ٣٢ .

مضمومان إليه ، ومعني ﴿ مِنَ الرَّهْبِ﴾ (من اجل الرهب) أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك " (١).

قال الألوسي : وقوله تعالي : ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ وقوله : ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ واحد ، ولكن خولف بين العبارتين ، وإنما كرر المعني الواحد لاختلاف الغرضين ، وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء ، وفي الثاني اخفاء الرعب(٢) .

ذهب عن موسي الروع ، فقال له ربه ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (٣)

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ رب إني كلفت أمرا عظيما ، وخطباً جسيماً ، يحتاج إلى احتمال مالا احتمله ، فاجعلني حليماً ، حمولاً للشدائد التي يذهب معها صبر الصابرين ، وسهل علي هذا الأمر الصعب (٤).

﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا* قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾(٥)

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي *اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى *قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ القائل موسي ، لأن هارون كان غائباً حينئذ ، وأسند القول إليهما لرضاه به عملياً (٦).

---

(١)الكشاف / الزمخشري / ٣ / ١٧٥

(٢)روح المعاني / للألوسي /٢٠ /٧٥ / بتصرف

(٣)سورة النازعات ، رقمها ٧٩ : الآيات من ١٧ إلى ١٩ .

(٤)روح المعاني / للألوسي /١٦/١٨١ بتصرف .

(٥)سورة طه ، رقمها ٢٠ : الآيات من ٢٤ إلى ٣٦ .

(٦) روح المعاني / للألوس /١٦ /١٩٦ / بتصرف

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (١).

قال سيد قطب : " ويظهر أن استعباد بني إسرائيل كان إجراء سياسيا ، خوفا من تكاثرهم وغلبتهم ، وفي سبيل الملك والحكم لا يتحرج الطغاة من ارتكاب أشد الجرائم وحشية ، وأشنعها بربرية ، وأبعدها عن كل معاني الإنسانية ، وعن الخلق والشرف والضمير ، ومن ثم كان فرعون يستأصل بني إسرائيل ، ويذلهم بقتل المواليد الذكور ،واستبقاء الإناث وتسخير الكبار في الشاق المهلك من الأعمال " (٢) .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ *وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ وقوة وحجة وغليه(٣)﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ (٤).

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ {١١} قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ* قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٥).

---

(١) سورة طه ، رقمها ٢٠ : الآيات من ٤٢ إلى ٤٨ .

(٢) في ظلال القرآن / لسيد قطب / ٤/ ٢٣٤٠ .

(٣) تفسير ابن كثير / ٣٨٩/٣ بتصرف

- وصفوة التفاسير / للصابوني / ٢/ ٤٣٤ / بتصرف

(٤) سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الآيات من ٣٣ إلى ٣٥ .

(٥) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآيات من ١٠ إلى ١٧ .

الحواربين موسي وفرعون :

﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١)

لم تكن دعوة موسي لفرعون – أساساً – أن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، لأن فرعون كان يدعي لنفسه الألوهية وقومه يعتبرونه إلها ، ويقول﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (٢) ، فكانت دعوة موسي أن يطلق فرعون بني إسرائيل ، ويرفع عنهم السخرة والذل ، وتقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم وقهره لهم ، ليخرجوا ويعبدوا الله في البرية(٣).

قال فرعون لموسي ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ .

فكيف تدعي أنك رسول ، وأنت غير مؤهل لذلك ؟

قال موسي :﴿ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ *فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ *وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ *قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الذي أنت رسول ؟﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ إن للسماوات والأرض ربا ، ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ *قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ *قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٤).

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ *أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ

---

(١) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآيتان ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٢) سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الآية ٣٨ .
(٣) قصص الأنبياء / لعبد الوهاب النجار / ٢١٥ .
(٤) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآيات من ١٨ إلى ٢٨ .

فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (١) ، وفي لقاء آخر﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى *كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾(٢) .

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ *قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ *قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴾ (٣) .

انزعج فرعون وخاف وارتعدت فرائصه ، وكان خفيفاً ، ففرعن المجلس ، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (٤) .

ثم عاد إلى مجلسه متمالكاً أعصابه ، ثم ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ ﴾ يوم العيد (٥) – ﴿ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ – ويجتمعوا –﴿ ضُحًى﴾ (٦).

واستشار فرعون خاصته ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ أجله هو وأخاه إلى يوم نستعد له فيه (٧) – ﴿ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾– جامعين للسحرة – ﴿ يَأْتُوكَ

---

(١) سورة الزخرف ، رقمها ٤٣ : الآيات من ٥١ إلى ٥٤ .
(٢) سورة طه ، رقمها ٢٠ : الآيات من ٤٩ إلى ٥٤ .
(٣) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآيات من ٢٩ إلى ٣٣ .
(٤) سورة النازعات ، رقمها ٧٩ : الآيات من ٢١ إلى ٢٤ .
(٥) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير /١٥٦/٣ .
– وصفوة التفاسير / للصابوني / ٢٣٨/٢.
(٦) سورة طه ، رقمها ٢٠ : الآيات من ٥٧ إلى ٥٩ .
(٧) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير /٣٣٣/٣ – بتصرف
– وصفوة التفاسير / للصابوني /٣٧٨/٢ .

بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ [١]

وجاءت مجموعة أخري من خاصته تقول له ، ويقول لها :

﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ *يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ *يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ [٢]

﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَـذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ *قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ* وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾[٣]

موسي عليه السلام والسحرة :

﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ *وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾[٤]

﴿ وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ *قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ *قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ [٥]

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ ..[٦]

﴿ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ *فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [٧] .

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[٨] .

---

(١) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآيات من ٣٤ إلى ٣٧ .
(٢) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآيات من ١٠٩ إلى ١١٢ .
(٣) سورة يوسف ، رقمها ١٠ : الآيات من ٧٧ إلى ٧٩ .
(٤) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ الآيات من ٣٨ إلى ٤٠ .
(٥) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآيات من ١١٣ إلى ١١٥ .
(٦) سورة طه ، رقمها ٢٠ : الآيتان من ٦٥ ، ٦٦
(٧) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآيتان ٤٣، ٤٤.
(٨) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ١١٦

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ٦٦}} فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى {٦٧} قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى {٦٨} وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[١]

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾[٢]

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ *فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ *قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ *قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ *إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] .

﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ*فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ *رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ *لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ *وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[٤]

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى *قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى *قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [٥] .

---

(١) سورة طه ، رقمها ٢٠ الآيات من ٦٦ إلى ٦٩ .
(٢)سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ١١٧ .
(٣)سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآيات من ٤٥ إلى ٥١ .
(٤) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآيات من ١٨٨ إلى ١٢٦ .
(٥) سورة طه ، رقمها ٢٠ : الآيات من ٧٠ إلي ٧٣ .

الخاتمة

اما بعد ، فنكتفي بهذا القدر من أمثلة لظاهرة التكرار في قصص القرآن ، وقد وضح بجلاء فيما ذكرنا أنه لا يكاد يوجد تكرار بالمعني الحقيقي ، وإن وجد في بعض الألفاظ ، فإن الأجزاء المتفرقة للحدث يكمل بعضها بعضاً ، ويتكون منها جميعاً حقيقة ما حدث .

وقد برهنا علي ذلك بإدماج آيات الحوار بين موسي عليه السلام وفرعون ، ولم نلتزم ترتيب الآيات في المصحف لنعطي صورة واحدة متكاملة لهذه القصة ، وننزه بها القرآن عن التكرار غير المفيد .

وكل ما فيه تناول للحدث الواحد من القصة مرة ومرتين وثلاثاً من جوانب متعددة وبصور مختلفة ، فمثل هذا كمثل قصر أخذت له صور متعددة من جوانب متعددة ، قد تتشابه بعض أجزائها ، وتختلف بصفة عامة في أبعادها وفي أشكالها ، ويتكون من جميعها صورة متكاملة .

ومثل هذا كمثل زائر لحديقة مثمرة ، تتكرر زيارته ، ويتكرر جمعه للثمار ، لكن ما يجمعه كل مرة ليس هو ما جمعة المرة السابقة ومثل هذا كمثل زائر لروض الزهور ، ينسق باق في زيارة تختلف عن باقة في زيارة أخري في أصنافها وألوانها وريحها وتنسيقها .

لا يقال : لِمَ لمْ يجمع جميع الجوانب في صورة واحدة ؟ ومرة واحدة ؟ ولا لِمَ لمْ يجمع الثمار كلها في زيارة واحدة ؟

ولا لِمَ لمْ ينسق باقات الزهور في باقة واحدة ؟ فقد قال الكفار ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (١).

فبين القرآن هذا التفريق لقوله :

﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (٣).

ثم أما بعد ، فهذا قرآننا ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(٤) .

---

(١) سورة الفرقان ، رقمها ٢٥ : الآية ٣٢ .
(٢) سورة الفرقان ، رقمها ٢٥ : الآيتان ٣٢ ، ٣٣
(٣) سورة الإسراء ، رقمها ١٧ : الآية ١٠٦ .
(٤) سورة هو ، رقمها ١١ : الآية ١.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم .

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / للعلامة أبو السعود .
الناشر : دار الفكر ١٣٤٧ .

٢- أصول النظام الاجتماعي والدولي في الإسلام / لمحمد الطاهر ابن عاشور
طبعة تونس ١٩٦٤ م.

٣- الأساس في التفسير / السعيد حوي الناشر : دار السلام : القاهرة .
الطبعة الثانية : ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

٤- البرهان في علوم القرآن / للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي .
الناشر : دار المعرفة ، بيروت لبنان .

٥- التصوير الفني في القرآن / للأستاذ سيد قطب الناشر : دار المعارف ، مصر
الطبعة التاسعة .

٦- التعريف بالإسلام / للأستاذ عبد الكريم الخطيب طبع بالقاهرة ، ١٩٦٥ .

٧- التعليق المغني علي الدراقطني / لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي
بهامش سنن الدراقطني الناشر : عالم الكتب : بيروت .

٨- التفسير القرآني للقرآن / لعبد الكريم الخطيب الناشر : دار الفكر العربي .

٩- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب المشهور بتفسير الفخر الرازي / للإمام محمد
الرازي فخر الدين الناشر : دار الفكر : بيروت - لبنان .
الطبعة الثالثة : ١٩٨٥ م .

١٠- التكرار بلاغة / للأستاذ الدكتور إبراهيم الخولي .

١١- التكرار في القرآن الكريم / للأستاذ الدكتور / عبد المنعم سيد حسن .

١٢- الجامع لأحكام القرآن / لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصار القرطبى .
الناشر : دار إحياء التراث العربي : بيروت - لبنان . ١٩٦٧ م.

١٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / للإمام ابن تيمية طبع بمصر ،
١٩٠٥ م .

١٤-الدر المنثور في التفسير بالمأثور / للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي . الناشر : دار الفكر : بيروت – لبنان .
الطبعة الأولي : ١٩٨٣ م .
١٥-القصص القرآني في مفهوم ومنطوقه / للشيخ عبد الكريم الخطيب .
الناشر : دار الفكر العربي ، القاهرة .
١٦-القصص في الحديث النبوي (دراسة فنية وموضوعية) للدكتور محمد بن حسن الزير الناشر : دار المدني ، جدة .
الطبعة الثالثة : ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
١٧-القصة في القرآن / تأليف د . محمد عبد الحافظ إبراهيم حسين الناشر : مطبعة الأمانة ، مصر .
الطبعة الأولي : ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.
١٨-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧ – ٥٣٨ هـ.الناشر : دار الفكر .
١٩-المستدرك / للحكام النيسابوري الناشر : دار الكتاب العربي : بيروت ، لبنان
٢٠-المسند / للإمام أحمد بن حنبل الناشر : المكتب الإسلامي
٢١-المصباح المنير / لأحمد بن محمد بن علي الفيومي الناشر: المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٧ م .
٢٢-المعجم الكبير / لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني حققه وخرج أحاديثه : حمدي عبد المجيد السلفي .
مطبعة الزهراء الحديثة : عراق ، موصل .
الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
٢٣-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / للأستاذ محمد فوائد عبد الباقي .
الناشر : دار ومطابع الشعب
٢٤-المعجم الوجيز / مجمع اللغة العربية الناشر : دار التحرير للطبع ، بمصر .
الطبعة الأولي ، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

٢٥-المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية .
الناشر : مطابع دار المعارف ، مصر ١٩٧٣ م .
٢٦-الموسوعة الشعرية الصادرة عن المجمع الثقافي في أبو ظبي سنة ٢٠٠٣ م .
٢٧-الميزان في تفسير القرآن / لمحمد حسن الطباطبائي الناشر : مؤسسة الأعلمي : بيروت – لبنان الطبعة الثانية : ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م .
٢٨- النهج القويم في دراسة القرآن الكريم / أ. د عبد الغني الراجحي الناشر : مطبعة عيسي الحلبي : مصر .
٢٩-بحوث في قصص القرآن / للسيد عبد الحافظ عبد ربه الناشر : دار الكتاب للبناني ك بيروت
٣٠-بين الدين والعلم / للأستاذ عبد الرزاق نوفل الناشر : مطبعة الاستقلال : مصر
٣١-تاج العروس / محمد بن محمد بن محمد مرتضي الزبيدي الناشر : دار ليبيا للنشر – بنغازي ، ١٩٦٦ م .
٣٢-تاريخ العرب / د . فيليب متي الطبعة الثانية .
٣٣-تفسير ابن عطية / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق وتعليق
– الرحالي الفاروق – عبد الله بن إبراهيم الأنصاري
– السيد عبد العالي السيد إبراهيم – محمد الشافعي العناني .
الناشر : مطبعة الدوحة الحديثة – الدوحة : قطر
الطبعة الأولي : محرم ١٣٩٨ هـ – ديسمبر ١٩٧٧ م .
٣٤-تفسير البغوي " معالم التنزيل " للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفي ٥١٦ هـ.
حققه وخرج أحاديثه :
محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش
الناشر : دار طيبة – المملكة العربية السعودية – الرياض .
الطبعة الثانية : ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .

٣٥-تفسير التحرير والتنوير / للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الناشر : الدار التونسية لنشر تونس : ١٩٨٤م .

٣٦-تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن الناشر : مؤسسة الأعلمي :بيروت لبنان .

٣٧-تفسير الطبري المسمي جامع البيان في تأويل القرآن / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري الناشر : دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان .
الطبعة الأولي : ١٤١٢١ هـ – ١٩٩٢ م .

٣٨-تفسير القاسمي المسمي محاسن التأويل / لمحمد جمال الدين القاسمي .
وقف علي طبعة وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلقه عليه : محمد فؤاد عبد الباقي الناشر : دار إحياء الكتب العربية – القاهرة .

٣٩-تفسير القرآن الشهير بتفسير المنار / للسيد محمد رشيد رضا الناشر : دار المعرفة : بيروت ، لبنان – الطبعة الثانية.

٤٠-تفسير القرآن العظيم / للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الناشر : دار المعرفة : بيروت – لبنان ١٣٨٨هـ١٩٦٩.

٤١-تفسير مجاهد / لأبي الحجاج مجاهد بين جبر التابعى المكي المخزومي
قدم له وحققه وعلق علي حواشيه : عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي .
الناشر : مطابع الدوحة الحديثة – الدوحة : قطر .
الطبعة الأولي : ١٣٩٦ هـ -١٩٧٦ م

٤٢-تفسير النسفي / للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن أحمد بن محمود النسفي الناشر : دار إحياء الكتب العربية – القاهرة

٤٣-تهذيب اللغة / للأزهري الناشر : الدار المصرية ، ١٩٦٦ م .

٤٤-دائرة المعارف الإسلامية / أصدرت بالألمانية والإنجليزية والفرنسية ، واعتمدت في الترجمة العربية علي الأصلين الإنجليزي والفرنسي . يصدرها باللغة العربية : أحمد الشنتناوي – إبراهيم زكي خورشيد – عبد الحميد يونس
الناشر : دار المعرفة – بيروت : لبنان .

٤٥-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / لشهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي الناشر : دار الطباعة المنيرية دار أحياء التراث العربي بيروت –لبنان – الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م

٤٦-زاد المسير في علم التفسير / للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ٥٠٨ -٥٩٧ هـ الناشر : المكتب الإسلامي : دمشق وبيروت.
الطبعة الأولي : ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .

٤٧- سلسلة الأحاديث الضحيحة / لمحمد ناصر الدين الألباني .
الناشر : مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م .

٤٨-سنن الدار قطني / لعلي بن عمر الدار قطني لناشر : عالم الكتب : بيروت

٤٩-شرح الكرماني بهامش صحيح البخاري الناشر : دار الفكر : بيروت ، لبنان
الطبعة الأولي : ١٤١١ هـ ١٩٩١م .

٥٠- صحيح البخاري / لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي الناشر : دار إحياء التراث العربي : بيروت – لبنان .

٥١-صحيح مسلم / تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة بيروت .

٥٢-صفوة التفاسير / لمحمد علي الصابوني الناشر : مطابع الدوحة الحديثة – الدوحة – قطر .
الطبعة الثانية : ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

٥٣-علم النفس والأخلاق / لهارد فيلد ، (ت) محمد عبد الحميد أبو العزم الناشر مكتبة مصر للطبع .

٥٤-غرائب القرآن ورغائب الفرقان / لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري المتوفي سنة ٧٢٨ هـ تحقيق ومراجعة : إبراهيم عطوة عوض
الناشر : مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي بمصر .
الطبعة الأولي : ١٣٨١ هـ – ١٩٦٢ م .

٥٥-فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري / لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني الناشر : المكتبة السلفية : القاهرة .
الطبعة الثالثة : ١٤٠٧ هـ .
٥٦-فتح القدير / للإمام الشوكاني الناشر : دار الفكر .
٥٧-فصول في علوم القرآن / للدكتور عدنان محمد زرزور الناشر المكتب الإسلامي : بيروت – دمشق – عمان .
الطبعة الأولي : ١٤١٩ هـ – ١٩٨٨ م .
٥٨-فيض القدير شرح الجامع الصغير / للعلامة المناوي الناشر : دار المعرفة : بيروت – لبنان .
الطبعة الثانية : ١٤١٩ هـ ١٩٨٨ .
٥٩- في ظلال القرآن / لسيد قطب الناشر : دار الشروق : بيروت والقاهرة .
الطبعة الشرعية التاسعة : ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .
٦٠-قصص الأنبياء /تأليف : عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي الناشر : دار أصداء المجتمع : بريدة – السعودية .
دار بغداد – مصر – المنصورة – ١٩٧٧ م.
٦١-قصص الأنبياء / تأليف عبد الوهاب النجار . الناشر : مكتبة دار التراث – القاهرة .
الطبعة الثانية ١٩٨٥ م .
٦٢-قصص الأنبياء المسمي عرائس المجالس / للثعلبي النيسابوري الناشر : المكتبة الثقافية : بيروت .
٦٣-لسان العرب / لأبي الفضل جمالي الدين محمد بن مكرم ابن منظور الناشر : دار صادر : بيروت .
٦٤-مباحث في علوم القرآن / مناع القطان الناشر : مؤسسة الرسالة : بيروت .
الطبعة الخامسة : ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .
٦٥-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / لعلي بن أبي بكر الهيثمي . الناشر : دار الكتاب العربي : بيروت – لبنان . الطبعة الثالثة : ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

٦٦-مختار الصحاح / للإمام محمد بن أبي بكر الرازي .
المطبعة الأميرية – بالقاهرة.
٦٧-مختصر تفسير الخازن المسمي لباب التأويل في معاني التنزيل / للإمام علاء الدين علي ابن محمد البغدادي المعروف بالخازن اختصره وهذبه ك الشيخ عبد الغني الدقر . الناشر : اليمامة – دمشق – الطبعة الأولي : ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .
٦٨-مذكرات في علوم القرآن / للأستاذ الدكتور محمود بسيوني فودة الناشر : مكتبة جمال ، مصر.
٦٩-مشكاة المصابيح / لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني – الناشر : المكتب الإسلامي :بيروت ودمشق .
الطبعة الثالثة : ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
٧٠-معاني القرآن واعرابه / للزجاج – أبي إسحاق إبراهيم بن السري المتوفي سنة ٣١١ هـ شرح وتحقيق : دكتور عبد الجليل عبده شلبي – الناشر : عالم الكتب : بيروت.
٧١-معجزة القرآن / للشيخ محمد متولي الشعراوي الناشر : دار أخبار اليوم : ١٩٩٣ م.
٧٢-معجم البلدان / للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي الناشر : دار صادر – دار بيروت – بيروت ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.
٧٣-موارد الظمآن إلى زوائد ابن حيان / للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي – حققه ونشره : محمد عبد الرزاق حمزة – الناشر : دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان .
٧٤-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / للإمام أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفي سنة ٨٨٥ هـ – خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي – الناشر : دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان .